وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
رئاسة جامعة بابل
كليّة التربية.
قسم اللغة العربية.

دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم.

رسالة تقدّم بها

علي خضر فنّون العادلي.

إلى مجلس كليّة التربيّة في جامعة بابل، وهي جزء من متطلّبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها.

بإشراف

أ.م.د. رحيم جبر الحسناوي.

1425هـ. 2005م.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾.

صدق الله العلي العظيم.

الأحقاف/12.

الإهداء

إلى المولى الكريم بما حباني من التوفيق والنعم العظام .

لأهل البيت من كانوا سلاحي أقدّم مهجتي بعد السلام .

لأستاذي العزيز وخير نبع يروّي ترعتي نحو التمام .

إلى أبويّ من سهرا الليالي جزاهم خالقي طيب المقام .

إلى الإخوان والأحباب جمعا ولست مكافئاً أهل الغرام .

أقدّم ما حوته سنين عمري من العمل الدؤوب على الدوام .

وأهدي ما جنيت بغير منّ فانّ المنّ من شيم اللئام .

الباحث .

شكر وامتنان

الحمد لله ربّ السماوات السبع والأرضين السبع وما بينهنّ وما فوقهنّ وما تحتهنّ وربّ العرش العظيم، وله الشكر على ما أنعم والثناء على ما قدّم . وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد الصادق الأمين، وعلى آله الغرّ الميامين، مصابيح الهدى والعروة الوثقى والحجّة على أهل الدنيا .

أمّا بعد :

فمن الواجب على المرء شكر الأيادي التي أسبغت عليه نعمها، ومن هنا أتقدّم بشكري الخالص وامتناني لأساتذتي في قسم اللغة العربيّة، الذين تعهدوني بوافر علمهم، وطيب خلقهم في مرحلتي الدراسة (البكالوريوس والماجستير) .

وأن أرفع آيات الامتنان إلى أستاذي المشرف الدكتور: رحيم جبر الحسناوي، الذي كان أبا حنونا، وصديقا متواضعا، قبل أن يكون مشرفا علميّا، وقد تعلّمت من روحه الشفافة التواضع والحنان والمودّة. شاكرا إيّاه ما بذله من جهد في تقويم هذه الرسالة، وما أبداه من ملاحظات قيّمة سدّدت خطى البحث وصوّبت مقاصده. كما أشكر الخبير العلمي وجهوده العلمية في تقويم هذه الرسالة.

أمّا أساتذتي الأفاضل رئيس لجنة المناقشة وأعضائها الذين سيكون لهم فضل العلماء في تقويم هذه الرسالة والارتقاء بها إلى مستوى قريب من الكمال الذي سبق الله بإرادته أن يتفرّد به وحده، فانّ شكري لهم موصول ما حييت وأسأل الله تبارك وتعالى أن ينعم عليهم بالعافية والعمر المديد خدمة للعلم وطلاّبه.

وأدين بالاعتراف لجميع أصدقائي وإخوتي من طلبة الماجستير والدراسة الأوّليّة، بما قدّموه لي من معونة علميّة، أو سؤال عن حال، أو دعاء بالتوفيق. ولا أنسى أن أذكر فضل من مدّ لي يد العون والمساعدة من خارج النطاق الأكاديمي، وهما الشيخان (رحيم الشكري وعلي المطراوي) بما قدّماه لي من مصادر للبحث، وكذلك جميع أخوتي المؤمنين، داعيا الله تبارك وتعالى أن يتولّى الجميع برعايته، ويتغمّدهم بوافر رحمته، ويوفّقهم لما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، انّه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله ربّ العالمين.

الباحث.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
شكر وامتنان	
المحتويات	
المقدّمة	أ- ت
الفصل الأوّل: الدلالة الصوتيّة.	1
دلالة الصوت اللغوي.	4-2
الدلالة الصوتيّة في القراءات القرآنيّة.	13-5
دلالة التشديد.	28-14
دلالة الوقف.	31-29
دلالات أخرى.	38-32
الفصل الثاني: الدلالة الصرفيّة.	39
دلالة الصيغة.	54-40
دلالة صيغة البناء للفاعل والمفعول.	63-55
دلالة اختلاف أحرف المضارعة.	75-64
دلالة اختلاف حركات المضارعة.	87-76
الفصل الثالث: الدلالة النحويّة.	88
الدلالة النحويّة.	90-89
دلالة الوجوه النحويّة.	99-91
المضارع بين النصب والجزم.	109-100
الدلالة النحويّة في القراءات القرآنيّة.	110
أوّلا:الفعل المضارع بين الرفع والنصب.	116-110
ثانيا:الفعل المضارع بين الرفع والجزم.	123-117
ثالثا:الفعل المضارع بين النصب والجزم.	127-124
رابعا:الفعل المضارع بين الرفع والنصب والجزم	130-128

الفصل الرابع: الدلالة المعنويّة.	131
الدلالة المعنويّة.	132
دلالة اختيار صيغة المضارع.	138-133
دلالة المضارع على الماضي وبالعكس.	142-139
إطلاق الخبر وإرادة الأمر أو النهي.	146-143
النهي القرآني.	150-147
التكرار.	154-151
الاستعمال القرآني ومراعاة الدلالة.	157-155
دلالات أخرى.	167-158
الخاتمة.	169-168
المصادر والمراجع	170
أوّلا: الكتب المطبوعة.	183-171
ثانيا:الرسائل الجامعيّة والبحوث.	184
ملخّص الرسالة بالإنكليزيّة.	A-B

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ((دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم)) والتي قدّمها الطالب (علي خضر فنّون) قد جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربيّة في كليّة التربية، جامعة بابل، وهي جزء من متطلّبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها.

المشرف على الرسالة
الإسم: أ.م.د رحيم جبر الحسناوي.
الإمضاء/

التأريخ/

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشّح هذه الرسالة للمناقشة.

رئيس قسم اللغة العربيّة
الإسم: أ.م.د عامر عمران الخفاجي.
الإمضاء/
التأريخ/

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أنّنا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ((دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم)) التي تقدّم بها الطالب(علي خضر فنّون)، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها، وفيما له علاقة بها ونرى أنّها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها بتقدير ( ).

الإمضاء: **الإمضاء:**
عضو اللجنة: أ.م.د صباح عطيوي عبود. **عضو اللجنة:أ.م.د أسعد محمد علي النجار.**
التأريخ: **التأريخ:**

الإمضاء: **الإمضاء:**
عضو اللجنة(مشرف)أ.م.د رحيم جبر الحسناوي. **رئيس اللجنة: أ.د محمود جاسم الدرويش.**
التأريخ: **التأريخ:**

صدّقت من مجلس كلية التربية/جامعة بابل.

الإمضاء:
عميد كليّة التربية:
التأريخ:

المـقدّمـة

الحمد للـه ربّ العـالمين، والصـلاة والسـلام علـى خيـر خلقـه أجمعـين محمـد الصـادق الأمـين، وعلـى آلـه الغـرّ الميـامين، أوتـاد الأرض وحجـج اللـه علـى الخلـق، وعلـى صـحبه المنتجبين.

وبعد:

فمن حسن حظّ الباحث أن يكون موضوع بحثه قرآنيّا، لما في ذلك من فوائد ماديّة ومعنويّة، فالأولى يحصل عليها الباحث بإطّلاعه على أرقى وأسمى نصّ لغوي، ودراسته لهذا النص وكشف مزاياه، والتبحّر في أسلوبه، ممّا يضفي على الباحث روعة هذا البيان، وينقله إلى عالم لغويّ مليء بالأسرار، وحافل بالإعجاز اللغوي، الذي أخرس بلغاء العرب، وأذهلهم فوقفوا حائرين إزاء بديع نظمه وجمال أسلوبه، ولا يمكنني إلا أن أقول فيه:

وفي كلّ حرف له آية تدلّ على أنّه معجز.

ومن الطبيعي أن يرتوي الباحث من روعة هذا البيان بما يطفىء ظمأه الدائم إلى هذه اللغة الشريفة، وأن يستمدّ منه لغة جميلة وبيانا لطيفا. والثانية يحصل عليها من خلال قربه من النصوص القرآنيّة التي تحمل في طيّاتها منهجا تربويّا وأخلاقيّا ساميا، ولا بدّ لها من أن تؤثّر فيه، والاّ كان من الصمّ البكم الذين لا يعقلون، علما أنّ المعروف لدينا أنّ تلاوته نور والنظر فيه شفاء، فكيف بمن يتعمق في أسراره ويبحث في آياته.

ومن هنا تتأتى أهميّة البحث كونه موضوعا قرآنيّا يبحث في دلالة ظاهرة لغويّة على وفق مستويات اللغة (الصوتيّة، والصرفيّة، والنحويّة، والدلاليّة) والكشف عن أسرارها، والإطلاع على مزايا التعبير القرآني بما يفيد دارسي اللغة العربيّة، ويتحف قرّاء المكتبة القرآنيّة بجواهر الدلالة وأنوار التعبير.

ولا ريب أنّ دلالة النصّ القرآني أدقّ وأعمق من النصوص اللغويّة ممّا يجعل الثمرة المتأتية منه أغلى وأثمن، فكان البحث الموسوم بـ **((دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم))** موضوع رسالتي لنيل درجة الماجستير، وقد اقترحه عليّ أستاذي المشرف الدكتور رحيم جبر الحسناوي جزاه الله عنّي خير الجزاء.

علما أنّ هناك دراسة سابقة للباحث"هاتف بريهي شياع" بعنوان(دلالة الفعل في القرآن الكريم)،وهي تختلف عن دراستي كونها دراسة عامة للفعل بأنواعه الثلاثة، وكذلك تختلف في منهج الدراسة،فلم يدرس الباحث الفعل على وفق مستويات اللغة كافة، وكانت أمثلة المضارع قليلة. أمّا المنهج الذي اتّبعته في كتابة الرسالة، فهو منهج الدرس اللغوي الحديث الذي يعنى بدراسة الظاهرة اللغويّة على وفق مستويات اللغة الأربعة، الصوتيّة، والصرفيّة، والنحويّة، والدلاليّة، وهذه الحداثة في المنهج استعملت لتنظيم التراث اللغوي الذي أبدعه علماء الأمّة من قرّاء ومفسّرين ولغويين في ظلال النصّ القرآني. وهو منهج حرص أستاذي المشرف على انتهاجه فلاقى ذلك الحرص رغبة في نفسي وعزماً على إخراج العمل بمستوى يليق بعظمة الموضوع.والمطّلع على كتب التفسير والقراءات والنحو، يجد إشاراتٍ متعددّة، وجواهر مكنونة تخصّ موضوعا واحدا، وهي تحتاج لمن يحوك لها خيطا

ملائما لتكون قلادة يتقلّد بها دارسو العربيّة وعشّاق البيان القرآني. هذا وقد قسمت الرسالة على أربعة فصول اختصّ كلّ فصل منها بمستوى من مستويات اللغة بدءا بالمستوى الصوتي وانتهاءا بالمستوى الدلالي، فعقدت الفصل الأوّل لدراسة الدلالة الصوتيّة فدرست فيه دلالة الصوت اللغوي،ودلالة القراءات القرآنيّة،ودلالة التشديد ودلالة الوقف ودلالات أخرى.أمّا الفصل الثاني،فعقدته لدراسة الدلالة الصرفيّة،ودرست فيه دلالة الصيغة،ودلالة صيغة البناء للفاعل والمفعول،ودلالة اختلاف أحرف المضارعة، ودلالة اختلاف حركات المضارعة. أمّا الفصل الثالث فعقدته لدراسة الدلالة النحويّة،ودرست فيه،دلالة الوجوه النحويّة، ودلالة القراءات القرآنيّة. أمّا الفصل الرابع والأخير من الرسالة فخصصته لدراسة الدلالة المعنويّة ودرست فيه دلالة اختيار صيغة المضارع،ودلالة المضارع على الماضي وبالعكس،وإطلاق الخبر وإرادة الأمر والنهي،والنهي القرآني،والتكرار والاستعمال القرآني ومراعاة الدلالة، ودلالات أخرى.أمّا مصادر البحث التي رجعت إليها في الرسالة، فهي كتب التفسير،وكتب القراءات، وكتب معاني القرآن وإعرابه، وكتب النحو والصرف، وغيرها من الكتب التي تمتّ إلى البحث بصلة.وكانت كتب التفسير خير معين لي في توجيه معاني الشواهد القرآنيّة، وبيان لطائف التعبير، ويأتي في مقدّمتها (جامع البيان للطبري) و (التبيـــان
للشيخ الطوسي) و (الكشّاف للزمخشري) و (مجمع البيان للشيخ الطبرسي)، وغيرها من كتب التفسير.

أمّا بالنسبة لكتب القراءات، فكان اعتمادي بالدرجة الأولى على كتاب (السبعة في القراءات لابن مجاهد) و (الحجّة في القراءات السبع لابن خالويه) و (حجّة القراءات لابن أبي زرعة الرازي). وكان (معاني القرآن للفرّاء) و(معاني القرآن للأخفش) و (معاني القراءات للأزهري) و (معاني القرآن للنحّاس) و (التبيان في إعراب القرآن للعكبري) في مقدّمة كتب معاني القرآن وإعرابه.

وقد اعتمدت منهجا موحّداً في النقل من المصادر، هو النقل من الأقدم وكان سبيلي إلى ذلك هو تأريخ وفاة مؤلّفِ الكتاب الذي أنقل منه، وهو منهج سارٍ في جميع مباحث الرسالة. وأخيراً ختمت الرسالة بالخاتمة وأودعتها ما توصّل إليه البحث من النتائج ومن ثمّ فهرس المصادر والمراجع.

أمّا الصعوبات التي واجهت الباحث فتتمثّل بصعوبة الحصول على المصادر أوّلا، وصعوبة منهج البحث ثانيا، وسعة مادّة البحث ثالثا، وهي الصعوبات الماديّة للبحث، فضلا عمّا يشغل البال من هموم الزمن الصعب وآلامه الذي نعيشه خاصّة وانّ مدّة كتابة الرسالة كانت مفعمة بمشاكل جرّت خيرات وويلات على العراق، والحمد لله الذي ذلّل لنا هذه الصعاب بمنّه ولطفه

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبّل منّي هذا الجهد المتواضع تقرّبا لوجهه الكريم، وأعتذر إليه أوّلا والى القرآن ثانيا إن زللت أو هفوت في ما نقلته من المصادر أو وجهته من المسائل الواردة في أثناء الرسالة، أو مسّني طائف من الشيطان الرجيم، ولا

.....

المقدّمة.

أقول أنّ لي الفضل فيما كتبت، بل الفضل كلّه لله تبارك وتعالى، فنحن منه واليه والحمد لله أوّلا وآخرا وباطنا وظاهرا.

دلالة الصوت اللغوي:

يمثّل الصوت اللغوي المستوى الأوّل من مستويات دراسة اللغة. والظاهر أنّه الركن الأساس فيها، فباتّحاد الأصوات فيما بينها تتكوّن مفردات اللغة، وهذا الاتحاد مشروط بدلالة المفردة وليس اتحادا اعتباطيّا، لأنّ من المفردات ما يتّحد ولا يكوّن مفردة لغويّة مثل:(ديز)، ومثل هذه المفردات تدخل ضمن دراسة المستوى الصرفي وما يفترضه من صيغ وتقلّبات.

ولاشكّ في أنّ للصوت اللغوي أثرا كبيرا في تكوين الصيغ الصرفيّة، فعلى سبيل المثال نأخذ الأصوات الآتية: "ع-ل-م"، فباتّحاد هذه الأصوات نحصل على صيغة فعليّة هي (علم)، ولو أردنا منها صيغة اسم الفاعل لقلنا: (عالم)، ولو أردنا صيغة اسم المفعول لقلنا:(معلوم)، أو صيغة المبالغة لقلنا:(علاّم)، أو المصدر لقلنا:(علم)، أو تكثير الفعل لقلنا:(علّم)، فكرّرنا صوتا لنحصل على تكرير الفعل.

ودور الصوت اللغوي وأثره واضحان في عمليّة تكوين الصيغ الصرفيّة، ففي صيغة اسم الفاعل زدنا "ألفاً" على الفعل، وفي صيغة اسم المفعول زدنا "ميماً و واواً" وفي صيغة المبالغة شدّدنا وزدنا "ألفاً" فعمليّة تكوين الصيغ الصرفيّة قائمة على الصوت اللغوي، وقد دفع ذلك العلماء إلى القول إنّ كلّ زيادة في المبنى تتبعها زيادة في المعنى، قال ابن جنّي(ت392ه):((والأصل في العربيّة إنّ زيادة اللفظ زيادة المعنى)).[1]

أما المصدر فلم نلحظ فيه ذلك وإنما حصل تغيير في الحركات فقط،(فعلم) فعل ماض و(علم) مصدر والحاصل هنا هو كسر العين وتسكين اللام لنحصل على صيغة اسميّة من دون زيادة صوت كما هو ظاهر.

والحق أنّ هذا التغيير يعود إلى الصوت، فالحركات أبعاض حروف المد كما يقول ابن جنّي:((فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمّة بعض الواو. وقد كان متقدّمو النحويين يسمّون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمّة الواو الصغيرة))[2].

وهذه المفردات التي نحصل عليها من اتّحاد الأصوات تتشكّل لتكوين الكلام الذي نقتطف منه أخيرا ثمرة الدلالة الكبرى في السياق هذا من جانب، ومن جانب آخر إن للصوت اللغوي أثرا كبيرا في موسيقى الكلام وجماله وفصاحته، ولذلك أشار علماء اللغة والبلاغة إلى أنّ تنافر الحروف وثقلها وقرب مخارجها يؤدّي إلى خروج الكلمة من دائرة الفصاحة، قال القزويني:((أمّا فصاحة المفرد فهي خلوصه من تنافر الحروف والغرابة.... فالتنافر منه، ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها)).[3]

وما أريد قوله هنا إن للصوت اللغوي دلالة كبيرة وقيمة تعبيريّة لا تنكر، فلكلّ صوت من الأصوات اللغويّة جرسه الموسيقي الخاص به أو لنقل نغمته الخاصة بتلاؤمها وانسجامها مع نغمات الأصوات الأخرى مع مراعاة الدلالة تعطينا بهجة وسرورا في حالة التعبير عن الفرح وألما وحزنا في حالة التعبير عن الحزن، ونفورا وبعدا في حالة الأمر بترك شيء وترغيبا وحبّا في حالة الأمر بفعل شيء.

1- سرّ صناعة الإعراب،ابن جني:59/1.

2- المصدر نفسه:19/1.

1- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني:4.

يقول الأستاذ الدكتور محمّد حسين الصغير:((لاشكّ في أنّ استقلاليّة أيّة كلمة بحروف معيّنة، يكسبها صوتيا ذائقة سمعيّة منفردة تختلف – دون شكّ – عمّا سواها من الكلمات التي تؤدّي المعنى نفسه ممّا يجعل كلمة ما دون كلمة – وان اتّحدا بالمعنى – لها استقلاليّتها الصوتيّة إما في الصدى المؤثّر، وإما في البعد الصوتي الخاص، وإما بتكثيف المعنى بزيادة المبنى.....)).[1]

ولا تقتصر الدلالة الصوتيّة على المفردة فحسب، وإنما تتجاوزها إلى السياق، يقول الدكتور إبراهيم الوائلي:((ولا تخلو الكلمات في أثناء انتظامها في كلمة واحدة أو في سياق تركيبي، إذ تتأثّر العلاقات الصوتيّة والدلاليّة بحسب طبيعة الانتظام الذي تشكّله الحروف المنتظمة في السياقات)).[2]

وسنتابع في هذا الفصل إن شاء الله تعالى أثر الصوت اللغوي في إضفاء دلالات أخرى على الآية القرآنيّة التي ستكون محور البحث وما يضفيه من إشعاعات دلاليّة في السياق القرآني، ذلك بأنّ ورود الفعل المضارع في الآية الكريمة لا يمكن النظر إلى دلالته منعزلة عن سياق الآية التي ورد فيها. بل إن دلالة أي لفظ حين ينتظم في السياق تشعّ على بقيّة وحدات السياق الدلاليّة أو مفرداته، ومن هذا المنطلق سندرس التغيّر الدلالي في الفعل المضارع المترتّب على التغيّر الصوتي في بنية الفعل وتغيّر هذه البنية من خلال القراءات وما يترتّب على ذلك التغيّر من تحوّل في الدلالة، كل ذلك وسواه ممّا يدخل في دلالات أخر ستكشف عنها فصول الرسالة ومباحثها يدخل ضمن دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم على وفق المنهج الذي اختطّه البحث.

2- الصوت اللغوي في القرآن،أ.د.محمّد حسين الصغير:.164
3- الخطاب النقدي عند المعتزلة، د.إبراهيم الوائلي:.74

الدلالة الصوتيّة في القراءات القرآنيّة:

سنتعرّف في هذا المبحث أثر الصوت اللغوي في القراءات القرآنيّة التي تقرأ باختلاف صوت منها وما يضفيه الصوت من دلالة إلى سياق الآية بما يفيد حكما جديدا أو معنى مفيدا. وأوّل ما يطالعنا في هذا المجال قوله تعالى من سورة البقرة:﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[1]، حيث اختلف القرّاء في قوله تعالى:"ننسها"، بضمّ النون وترك الهمز، وفتح النون مع الهمز. قال ابن مجاهد(ت324ه):((واختلفوا في قوله ننسها في ضمّ النون الأولى وترك الهمزة وفتح النون مع الهمزة، فقرأ ابن كثير(ت120ه) وأبو عمرو(154ه) ننسأها بفتح النون مع الهمزة، والباقون ننسها)).[2]

ومن الطبيعي اختلاف الدلالة تبعا لاختلاف القراءة، فدلالة ننسها غير دلالة ننسأها، قال الفرّاء(ت207ه):((عامة القرّاء يجعلونه من النسيان، وفي قراءة عبد الله:"ما ننسك من آية أو ننسخها". وفي قراءة سالم مولى أبي حذيفة:"ما ننسخ من آية أو ننسكها" فهذا يقوّي النسيان. والنسخ: أن يعمل بالآية ثمّ تنزل الأخرى فيعمل بها وتترك الأولى. والنسيان:ههنا على وجهين: أحدهما على الترك،نتركها فلا ننسخها كما قال الله جلّ ذكره:﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ يريد تركوه فتركهم. والوجه الآخر من النسيان الذي ينسى كما قال الله:﴿ وَاذْكُرْ رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾. وكان بعضهم يقرأ" أو ننسأها"يهمز يريد نؤخّرها من النسيئة، وكلّ حسن)).[3]

وبذلك نرى أنّ للقراءة بغير الهمزة معنيين، الترك والنسيان، أمّا القراءة بالهمزة فهي بمعنى التأخير، وهو المعنى المتحصّل من الهمزة ويدلّ على ذلك قول الفراء "يهمز" ومن هنا ندرك أثر الصوت اللغوي في تغيير المعنى وتوجيهه، وكلّ حسن عند الفرّاء.

ويتأوّل الطبري(310ه) القراءة من دون الهمزة بمعنى الرفع، جاء في جامع البيان:((ننسها نرفعها وكان الله تبارك وتعالى أنزل أمورا من القرآن ثمّ رفعها)).[4] ، وعلى ذلك فمعنى ننسها هنا نرفعها. أمّا القراءة بالهمزة فهي عنده بمعنى التأخير أيضا واستشهد لها بقول طرفه:[5]

1- البقرة/.106

2- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:168،وينظر:الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:86،وحجّة القراءات،ابن أبي زرعة:109،110.

3- معاني القرآن،الفرّاء:1/64،65،والآيتان،الأولى:الآية/67من سورة التوبة،والثانية:الآية/24من سورة الكهف، وينظر: أحكام القرآن،الجصّاص:71،ولسان العرب،ابن منظور:15/323.وقد تعقّب د.رحيم جبر الحسناوي جهد الفرّاء في الكشف عن دلالة النسخ والنسيان وسواهما ضمن كتابه: التشريع اللغوي عند الفرّاء،ينظر فصل التشريع الدلالي:34-49.

1- جامع البيان،الطبري:1/.477

2- ديوان طرفة:34.

لعمرك أنّ الموت ما أنسأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد.

وأنسأ الفتى معناه أخّر.

ويرجّح الطبري القراءة من دون الهمزة، قال في جامع البيان:((وأولى القراءات في قوله"أو ننسها"بالصواب قراءة من قرأ أو ننسها بمعنى نتركها،لأنّ الله جلّ ثناؤه أخبر نبيّه أنه مهما بدّل حكما أو غيّره، أو لم يبدّله أو لم يغيّره فهو آتيه بخير منه أو بمثله)).[1] ، ويتحصّل هنا من اختلاف القراءة دلالات هي:

أوّلا: ننسها من النسيان، وقد ذكرت وجهي النسيان سابقا.
ثانيا: ننسها بمعنى نرفعها، أو نتركها.
ثالثا: ننسأها من الانساء وهو التأخير، قال ابن الجوزي(597ه):((وفي معنى نؤخّرها ثلاثة أقوال: أحدها نؤخّرها عن النسخ فلا ننسخها، قاله الفرّاء. والثاني نؤخّر إنزالها فلا ننزلها البتّة، والثالث نؤخّرها عن العمل بها بنسخنا إياها حكاهما أبو علي الفارسي"ت377ه ")).[2]

وبذلك نرى أثر القراءة بالهمزة وما أفادت من معنى جديد للآية الكريمة مما لم يحصل عليه عند الاقتصار على رسم المصحف. ومدى تأثير الصوت اللغوي في توجيه المعاني.

وننتقل إلى آية أخرى من سورة البقرة هي قوله تعالى:﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[3]

حيث قرئ قوله تعالى: "ننشزها" بالزاي والراء، قال ابن مجاهد:((واختلفوا في الراء والزاي من قوله "كيف ننشزها" فقرأ ابن كثير ونافع(ت169ه) وأبو عمرو، بضمّ النون الأولى وبالراء. وقرأ عاصم(ت128ه)، وابن عامر(ت118ه) وحمزة(ت156ه) :"ننشزها" بالزاي. وقد روى أبان عن عاصم "كيف ننشرها" بفتح النون الأولى وضمّ

3- جامع البيان،الطبري:1/.478
4- زاد المسير،ابن الجوزي:127/1. وقول أبي علي في كتابه الحجّة في علل القراءات:146/2.
1- البقرة/.259

الشين والراء، وروى أيضا عبد الوهاب عن أبان عن عاصم"كيف ننشرها" بفتح النون وضمّ الشين مثل قراءة الحسن)).[1]، وعلى ذلك تكون محصّلة القراءات ما يأتي:

أوّلا: ننشزها، بالزاي وضمّ النون. وننشزها، بفتح النون.
ثانيا: ننشرها، بالراء وضمّ النون. وننشرها، بفتح النون وضمّ الشين والراء. والذي ننشده هنا ما تؤدّي إليه هاتان القراءتان من دلالات في الآية الكريمة، فالانشاز"بالزاي" غير الانشار"بالراء.

قال الفرّاء:((والانشاز نقلها إلى موضعها، وقرأ ابن عبّاس "ننشرها"، انشارها إحياؤها، واحتجّ بقوله تعالى:﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾. وقرأ الحسن - فيما بلغنا- "ننشرها" ذهب إلى النشر والطي. والوجه أن تقول: أنشر الله الموتى فنشروا إذا حيوا)).[2]
ويستشهد لذلك بقول الأعشى:[3]

حتّى يقول الناس ممّا رأوا يا عجبا للميّت الناشر.

وبناءً على هذا فالقراءة بالزاي تعني نقل العظام وردّ بعضها إلى بعض، أمّا القراءة بالراء فتعني إحياءها.

ويعطينا الطبري تحليلا دقيقا لهذه القراءات حيث يردّ بعضها ويوجّه البعض الآخر، فهو يرى أنّ القراءة بفتح النون والراء "ننشرها" معناها نشر الشيء وطيّه، وهي قراءة غير محمودة عنده لأنّ العرب لا تقول نشر الله الموتى، وإنما تقول: أنشر الله الموتى فنشروا هم، بمعنى أحياهم فحيوا، مستدلا بقوله تعالى:﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾.[4]، وهو لا يقبل هذه القراءة ولا يجيزها، يقول:((وأمّا القراءة الثالثة فغير جائزة القراءة بها عندي وهي قراءة من قرأ"ننشرها" بفتح النون والراء، لشذوذها عن قراءة المسلمين وخروجها عن الصحيح الفصيح من كلام العرب)).[5]

أمّا القراءتان الأخريان فيرى أنّهما متقاربتا المعنى، فإحياء العظام ردّها إلى مكانها من الجسد المنظور إليه، وهو يحيى لإعادة الروح التي فارقتها عند الممات والدليل هو ثمّ نكسوها لحما. وإذا كان كذلك وكان معنى الانشاز تركيب العظام وكان ذلك معنى الانشار، كان معلوما استواء معنييهما وأنّهما متّفقتا المعنى لا مختلفتاه.[6]

2- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:198،وينظر الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:100،وحجّة القراءات،ابن أبي زرعة:144.
1- معاني القرآن،الفرّاء:137/1،والآية /22من سورة عبس،وينظر:لسان العرب،ابن منظور:5/.206،207
2- ديوان الأعشى:141.
3- عبس/.22
4- جامع البيان، الطبري:45/3،وينظر:معاني القراءات،للأزهري:86.
5- ينظر:جامع البيان،الطبري:44/3.

وأغلب الظن هنا أنّ الطبري كان ينظر إلى ما تؤول إليه القراءة أخيرا وهو الإحياء فلذلك لم يفرّق بين القراءتين وجعلهما متقاربتي المعنى. أمّا من يرى أنّهما مختلفتا المعنى فيحتجّ بأنّ العظام نفسها لا توصف بالحياة فلا يقال قد حيي العظم، وإنما يوصف بالحياة صاحبها ولذلك قال"ثمّ نكسوها لحما". لأنّ العظم لا يكون حيا وليس عليه لحم.[1]

وبذلك يكون معنى الانشار"بالراء" الإحياء، وهو غير معنى الانشاز"بالزاي" الذي معناه رفع العظام وتأليفها وردّ بعضها إلى بعض وهو غير معنى الإحياء. فالقراءة بالزاي تفيد رفع العظام وتأليفها وذلك قبل أن يكون الإحياء ثمّ تكسى لحما. وهي لا تفيد معنى الإحياء، أمّا القراءة بالراء فهي بمعنى الإحياء خاصّة.

وهناك من يرى أنّ الله ضمّن هذين المعنيين في القراءتين تنبيها على عظيم قدرته فهو أنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتّى التأمت، وأحياها بعد الممات.[2]، وبذلك نرى ما أفادته القراءة بالراء من دلالة جديدة سوى الدلالة المستفادة من رسم المصحف ممّا يكشف عن أهميّة الصوت في الدلالة.

ومن سورة الأنعام يطالعنا قوله تعالى:﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾.[3]

فيقصّ ممّا قرئ بالصاد والضاد، قال ابن مجاهد:((واختلفوا في الصاد والضاد من قوله"يقصّ الحقّ"، فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم"يقصّ الحقّ"بالصاد. وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن عامر والكسائي(ت189ه) "يقض الحقّ"بالضاد)).[4]، وهما معنيان كما ترى فيقصّ(بالصاد) غير يقض (بالضاد)، قال الأزهري(370ه):((من قرأ "يقصّ الحقّ" فمعناه يتّبع الحقّ. ورويت هذه القراءة عن علي «عليه السلام». ومن قرأ"يقض الحق" فله وجهان: أحدهما: أنّه يقضي القضاء الحق، والثاني: أنّ معنى يقضي: يصنع ويحكم، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

وعليهما مسرودتان قضـــاهما داود.

أي صنعهما داود فأحكم صنعهما)).[5]

وبذلك فالمتحصّل من اختلاف القراءة ثلاث دلالات هي:

الأولى: الإتباع للحق.

الثانية: القضاء، فيقض"بكسر الضاد" من القضاء. ويقوّي هذا المعنى قوله تعالى قبله "إن الحكم إلا لله" .

الثالثة: الصنع والإحكام.

1- ينظر:حجة القراءات،ابن أبي زرعه:144،والجامع لأحكام القرآن،للقرطبي:296/3.

2- ينظر:الأحرف السبعة،أبو عمرو الداني:.49

3- الأنعام/.57

4- السبعة في القراءات، ابن مجاهد:.259

1- معاني القراءات،الأزهري:155.والبيت في ديوان الهذليّين: 65/1.

على أنّ هناك من وجّه القراءة بالصاد توجيها آخر هو أنّ معنى يقصّ الحق، أي يقصّ القصص الحق. وبه استدلّ من منع المجاز في القرآن الكريم.[1]

وكلّ هذه الدلالات يمكن الأخذ بها، فلا تناقض في مدلولاتها وإنما تمثّل ثراءً دلاليّاً، فاختلاف القراءة أعطانا أربع صفات من صفات الله سبحانه وتعالى، ممّا لا يحصل عليه لولا ورود هذه القراءة.

ومشابه لهذه الآية قوله تعالى:﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.[2]، فقوله "ينقصوكم" ممّا قرىء بالصاد والضاد أيضا. والقراءة بالصاد على إرادة لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد، أمّا القراءة بالضاد فهي على حذف مضاف تقديره: ثمّ لم ينقضوا عهدكم.[3]

ويطالعنا التغيّر الصوتي الذي يعقبه تغيّر دلالي في سورة يونس(عليه وعلى نبيّنا محمّد وآله السلام) في قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.[4]، وقوله تعالى:﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.[5]، وقوله تعالى:﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾.[6]، فهذه الآيات الثلاث ممّا قرىء باختلاف الصوت، فقوله"يسيّركم" قرىء

2- ينظر:الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:439/6.
3- التوبة/4.
4- القراءة بالضاد قراءة عكرمه وعطاء.ينظر:معاني القرآن، النحّاس:185/3،والجامع لأحكام القرآن،القرطبي:71/8،وروح المعاني،الآلوسي:49/10.

1- يونس/22.
2- يونس/30.
3- يونس/92.
4- جامع البيان،الطبري:100/11،وينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد 325،ومعاني القراءات،الأزهري:221،222.
5- الجمعة/10.
6- ينظر:حجة القراءات، ابن أبي زرعه:329،والجامع لأحكام القرآن، القرطبي :324/8،وفتح القدير ،الشوكاني:434/2.

"ينشركم" قال ابن مجاهد:((اختلفوا في قوله"هو الذي يسيّركم" فقرأ ابن عامر وحده"هو الذي ينشركم" بالنون والشين من النشر. وقرأ الباقون "يسيّركم" بضمّ الياء وفتح السين من التسيير)).[1]

وممّا لاشك فيه أنّ دلالة يسيّركم غير دلالة ينشركم، فحجة من قرأ ينشركم قوله تعالى:﴿ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾.[2]، ومعناه يبثّكم في البرّ والبحر. أمّا يسيّركم فهو من التسيير بمعنى يحملكم في البرّ والبحر.[3]

أمّا قوله تعالى "تبلو" فقد قرىء بالباء والتاء، قال ابن مجاهد:((واختلفوا في الباء والتاء من قوله"هنالك تبلو"، فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر "تبلو" بالباء. وقرأ حمزة والكسائي"تتلو" بالتاء)).[4]

ولكلّ قراءة معناها، قال الفرّاء:((تتلو بالتاء معناها-والله أعلم- تتلو أي تقرأ كلّ نفس عملها في كتاب، كقوله تعالى:﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾. وقوله:﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾. قوّة لقراءة عبد الله. وقرأها مجاهد (104ه) "تبلو" أي تخبره وتراه. وكلّ حسن)).[5]

فالقراءة بالتاء تتحدّث عن حال الإنسان في ذلك اليوم عندما يقرأ صحيفة أعماله فيجد ما عمل محضرا، فهناك تتلو كتاب سيّئاتها وحسناتها، وقيل معناه: هناك تتبع كلّ نفس ما قدّمت لذلك اليوم. أمّا القراءة بالباء فمعناها أنّ الله سبحانه وتعالى يختبر كلّ نفس بما قدّمت من خير أو شرّ. ويرى الطبري أنهما قراءتان مشهورتان قرأ بهما أئمّة القرّاء وهما متقاربتا المعنى وبأيّتهما قرأ القارىء فمصيب.[6]

وبذلك يمكن الجمع بين القراءتين على كلا الوجهين، فيقرأ الإنسان صحيفة أعماله ويختبره الله تبارك وتعالى بذلك ويبتليه به. وأمّا قوله "ننجّيك" فقد قرىء بالجيم والحاء،

1- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:.325

2- معاني القرآن الفرّاء:463/1،والآيتان من سورة الإسراء:13،14.وينظر: معاني القراءات،الأزهري:223.

3- ينظر:جامع البيان،الطبري:148./11

4- ينظر:الكشاف،الزمخشري:368/2،والجامع لأحكام القرآن،القرطبي:380/8،وأنوار التنزيل، البيضاوي:213/3.

ومعنى القراءة بالجيم: نلقيك بنجوة من الأرض، وقيل نظهر جسدك الذي لا روح فيه. أمّا القراءة بالحاء وهي قراءة يعقوب فمعناها نلقيك بناحية من الساحل.[1]

ومن الشواهد القرآنيّة المتقدّمة ندرك أهميّة الصوت اللغوي في الدلالة، وما يضفيه من معاني جديدة يمكن الأخذ بها في توجيه الآيات القرآنية، وكذلك نرى أهميّة القراءات القرآنيّة ودورها في إثراء النص اللغوي القرآني بدلالات متعدّدة، ومعان لطيفة من شأنها اغناء اللغة العربيّة.

دلالة التشديد:

قبل البدء بعرض دلالة التشديد من خلال الآيات القرآنيّة الدالة على ذلك أودّ عرض نصوص لعلماء العربية تبيّن دلالة التشديد، فأذكر قول سيبويه: (ت180هـ) في الكتاب: ((تقول كسرتها وقطعتها،فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسّرته وقطّعته ومزّقته)).[2] ،وقال أيضا: ((ظلّ يفرّسها السبع ويؤكّلها إذا أكثر ذلك فيها)).[3]

1- الكتاب،سيبويه:4/.64
2- المصدر نفسه:4/.64

ودلالة النصّين واضحة على إفادة التشديد معنى التكثير في الفعل، فقولنا: قطع تدلّ على حصول عمليّة القطع مرة واحدة لا أكثر، ولكي نكثّر القطع نقول: قطّع. التي تدلّ على حصول القطع أكثر من مرة. وقال الزمخشري(ت528ه) في حديثه عن صيغة "فعّل" :((ومجيئه للتكثير هو الغالب عليه نحو قولك: قطّعت الثياب وغلّقت الأبواب، وهو يجوّل ويطوّف أي يكثر الجولان والطوفان .....)).[1]

ونفهم من كلام الزمخشري أنّ "فعّل" يأتي للتكثير كما وجدنا ذلك عند سيبويه، وهو الغالب في صيغة "فعّل"، ممّا يدلّ على أنّ لها دلالات أخر غير التكثير لا شأن لنا بذكرها.

وبعد معرفة المراد من التشديد نعود إلى آيات القرآن المباركات مستوحين منها دلالة التشديد في بنية الفعل المضارع، وما تؤدّي إليه من معان، بادئين بسورة البقرة، سائرين حسب التسلسل القرآني للسور والآيات إن شاء الله تعالى، وأوّل ما يطالعنا في هذا المجال قوله تعالى في سورة البقرة:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.[2]، فقد قرىء قوله تعالى "يطهرن" بالتخفيف والتشديد. قال ابن مجاهد:((واختلفوا في تخفيف الطاء وضمّ الهاء، وتشديد الطاء وفتح الهاء من قوله"حتّى يطهرن" فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر "يطهرن" خفيفة، وقرأ عاصم في

3- المفصّل في علم العربيّة،الزمخشري:281.

1- سورة البقرة،الآية/.222
2- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:182،وينظر:الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه:96،وحجة القراءات، ابن أبي زرعة:.134،135
3- ينظر: جامع البيان،الطبري:532/2،وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب،خالد الأزهري :104،وأثر الدلالة النحويّة واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعيّة، عبد الرحمن عبد القادر السعدي:117.
4- معاني القراءات،الأزهري:76.

روايــة أبــي بكــر والمفضّــل وحمــزة والكســائي "يطّهّــرن" مشــددة وقــرأ حفــص عــن عاصم"يطهرن" خفيفة)).[1]

واختلاف القراءة يؤدّي إلى اختلاف دلالة الآية، فمن قرأ بالتشديد وفتح الهاء أراد: حتّى يغتسلن بالماء، وشدّدوا الطاء لأنّهم قالوا معنى الكلمة :"حتّى يتطهرن" أدغمت التاء في الطاء لقرب مخرجيهما. ومن قرأ "يطهرن" أراد حتّى ينقطع الدم.[2]

والقــراءة بــالتخفيف رســم المصــحف، ويمكــن أن تكــون بمعنــى الغســل، قــال الأزهري(ت370ه):((وجائز أن يكون"يطهرن" من الطهر التام بالماء بعد انقطاع الدم)).[3]

وأورد لنــا الجصّــاص(حجــج مــن قــرأ بــالتخفيف والتشــديد، وملخّــص حجــة مــن قــرأ بالتخفيف هو:

أوّلا: إن حتّــى غايــة تقتضــي أن يكــون حكــم مــا بعدها بخلافها فذلك عموم في إباحة وطئها بانقطاع الدم. ونظيره قوله تعالى:﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.[4]

وقوله تعالى:﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾.[5]، فهذه نهايات لما قدّر بها وكان حكم ما بعدها بخلافها، فكذلك الآية.

ثانيا: إنّ قوله: "يطّهّرن" بالتشديد يحتمل ما يحتمله "يطهرن" بالتخفيف، فيراد به انقطاع الدم إذ جائز أن يقال: طهرت المرأة وتطهّرت إذا انقطع دمها، كما يقال تقطّع الحبل وتكسّر الكوز، والمعنى انقطع وانكسر. وأمّا من شدّد وحظر وطأها حتّى تغتسل احتجّ بقوله تعالى" فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ". فشرط في إباحة الوطء شيئين: انقطاع الدم، والاغتسال المفهوم من قوله تعالى" فَإِذَا تَطَهَّرْنَ" أي قمن بتطهير أنفسهنّ ولم يقل "فإذا طهرن" وعليه فان قوله" فَأْتُوهُنَّ".يتطلّب الطهر بانقطاع الدم والاغتسال.[6]

وهكذا يتّضح أنّ القراءة بالتشديد تقتضي الغسل بعد انقطاع الدم، والقراءة بالتخفيف، تكتفي بانقطاع الدم فقط لجواز الوطء. وهناك من يوجب العمل بكلتا القراءتين، كالزمخشري والرازي(606ه)، قال الزمخشري:((التطهّر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض، وكلتا القراءتين ممّا يجب العمل به)).[7]

1- القدر/.5

2- النص القرآني من الآية/9من سورة الحجرات.

3- ينظر: أحكام القرآن،الجصّاص:1/.422،423

4- الكشاف، الزمخشري:265/1.

أمّا الرازي فيقول:((والجمع بين الأمرين ممكن، وجب دلالة هذه الآية على وجوب الأمرين، وإذا كانت كذلك وجب أن لا تنتهي الحرمة إلا عند حصول الأمرين)).[1]

والظاهر من النصّين أنّ الزمخشري والرازي يعدّان القراءة حجة في الاستدلال للحكم الشرعي، إلا أن هناك من يخالف هذا الرأي فيرى أنّ جواز القراءة بالقراءات المختلفة لا يستلزم جواز الاستدلال بها على الأحكام الشرعيّة، فجواز القراءة بالقراءات يدلّ على جواز القراءة بها فقط. أمّا الاستدلال بمضمونها ومدلولها فهو أمر آخر يحتاج إلى دليل آخر، ويستشهد لرأيه بالآية نفسها:"وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ"، يقول:((ولم أر من استدلّ بجواز القراءة على جواز الحكم، بل ديدن الفقهاء على الاستدلال بأدلّة أخرى غير أدلّة جواز القراءة)).[2]

ويرجّح الطبري القراءة بالتشديد ويراها أولى بالصواب، لأنّها أنفى للبس عن فهم سامعها.[3]، وممّا يؤيّد قراءة التشديد ما ذهب إليه الدكتور محمّد الحبش:((وعلى قراءة التشديد فانّ المعنى متّجه إلى أن اجتناب النساء في المحيض متّصل إلى غاية اغتسالهنّ بالماء بعد انقطاع الدم، وهي على وزن "تفعّلن" فيجب أن يكون لها فعل، وفعلها إنما هو الاغتسال لأنّ انقطاع الدم ليس من فعلها)).[4]

ومن سورة البقرة ننتقل إلى آل عمران فيطالعنا قوله تعالى:﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.[5]، فقد اختلفت القراءة في قوله تعالى "يبشّرك" في ضمّ الياء وتخفيف الشين وفتح الباء وسكونها وتثقيل الشين، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو"يبشرك" في كلّ القرآن مشدّدا إلا في عسق فانّهما قرآ "ذلك الذي يبشر الله عباده" مفتوح الياء مضموم الشين مخفّفا، وقرأ

1- التفسير الكبير،الفخر الرازي:72/6.
2- بحوث في تأريخ القرآن،السيّد مير محمّدي زرندي:175،176.
3- ينظر:جامع البيان،الطبري:2/.523
4- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعيّة،د.محمّد الحبش:250.

1- آل عمران/39.

نافع وعاصم وابن عامر"يبشّرك" مشدّدا في كلّ القرآن، وهي قراءة الحضرمي وأهل المدينة.[1] ، وبذلك نجد في الآية الكريمة القراءات الآتية:
أوّلا: يبشّرك.بضمّ الياء وفتح الباء وتشديد الشين المكسورة وضمّ الراء وهي على رسم المصحف.
ثانيا: يبشرك. بفتح الياء وسكون الباء وضمّ الشين.
ثالثا: يبشرك. بضمّ الياء وسكون الباء وكسر الشين، وهي قراءة حميد بن قيس المكي.
وعلى أساس الاختلاف في القراءة نجد اختلافا في المعنى المراد من الآية الكريمة، فمن قرأ بالتشديد، أراد: يخبرك، يقال بشّرته أبشّره، أي: أخبرته بما أظهر في بشرة وجهه من السرور، ومن قرأ "يبشرك": أراد يسرّك ويفرحك.[2] وكلا المعنيين حسن، ولهما وجه في الآية الكريمة، فالمعنى على ذلك يخبرك بيحيى ويبشّرك فتسرّ وتفرح. وقيل:((التشديد والتخفيف لغتان فصيحتان،والتشديد أكثر والتخفيف حسن مستعمل، إلا أنّ التخفيف لا يقع إلا فيما سرّ والتشديد يقع فيما سرّ وضرّ)).[3]
وقال البغوي(ت516ه):((من قرأ بالتشديد فهو من بشّر يبشّر تبشيرا، وهو أعرب اللغات وأفصحها. ومن خفّف فهو من بشر يبشر وهي لغة تهامة وقراءة ابن مسعود)).[4]
ونقل القرطبي عن الأخفش قوله:((هي ثلاث لغات بمعنى واحد دليل الأولى قراءة الجماعة أن ما في القرآن من هذا من فعل ماض أو أمر فهو بالتثقيل كقوله تعالى: "فبشّر عبادي" وأمّا الثانية وهي قراءة عبد الله ابن مسعود فهي من بشر يبشر وهي لغة تهامة ومنها قول الشاعر:

بشرت عيالي إذ رأيت صحيفة أتتك من الحجّاج يتلى كتابها.

وأمّا الثالثة من أبشر يبشر ابشارا)).[5]

وعلى ذلك يكون اختلاف القراءة لغة، ومجيء التعبير القرآني على لغات العرب وارد في كتاب الله تعالى. وأنت تلاحظ مدى تأثير الصوت اللغوي في توجيه المعنى بحيث استقطب آراء اللغويين والمفسّرين والقرّاء، التي كان أساسها ومرتكزها الأوّل الصوت اللغوي.

2- ينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد:205،ومعاني القراءات،الأزهري:101،102،وحجة القراءات،ابن أبي زرعه:162.
3- ينظر: حجة القراءات،ابن أبي زرعه:162،وزاد المسير،ابن الجوزي:382/1.
4- الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه:.108،109
5- تفسير البغوي:298/1.
1- الجامع لأحكام القرآن،القرطبي:75/4.

ومن سورة النساء نجد قوله تعالى:﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتْ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾.[1]

حيث قرىء قوله تعالى"يصلحا" بالتشديد، قال ابن خالويه(370ه):((يقرأ بفتح الياء والتشديد وبضمّها والتخفيف، فالحجة لمن شدّد أنّه أراد "يتصالحا" فأسكن التاء وأدغم فلذلك شدّد، والحجة لمن خفّف أنّه أخذ من الصلح)).[2]

وعلى ذلك تكون في الآية قراءتان بالتخفيف وهي رسم المصحف"يصلحا"، وبالتشديد"يصّالحا"،ولكلّ قراءة دلالتها وحجتها. وقد احتجّ من قرأ"يصلحا" بوجود(بينهما) لأنّ العرب إذا جاءت مع الصلح بـ "بين" قالت: أصلح القوم بينهم، قال تعالى:﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾.[3] وإذا لم تأت بـ "بين" قالوا: تصالح القوم، وحجة أخرى هي مجيء المصدر على غير بناء الفعل فقيل تصالحا لا صلحا.

أمّا من قرأ "يصّالحا" فحجته أنّ المعروف من كلام العرب إذا كان بين اثنين مشاجرة أن يقولوا: تصالح القوم بينهم فهم يتصالحون ولا يكادون يقولون: أصلح القوم فهم مصلحون.[4]، والأصل في "يصّالحا" :يتصالحا، أدغمت التاء في الصاد لقرب مخرجيهما وشدّدت الصاد والمعنى: أن يوقعا بينهما أمرا يرضيان به وتدوم الصحبة.[5]

ومع ما قدّمناه من حجج الفريقين على بيان مذهبيهما في القراءة نجد أنّ من المفسّرين من يرجّح قراءة "يصّالحا" على "يصلحا" ويراها أشهر وأوضح في بيان المعنى المراد وأفصح. يقول الطبري:((وأعجب القراءتين في ذلك إليّ قراءة من قرأ "إلا أن يصّالحا بينهما صلحا" بفتح الياء وتشديد الصاد بمعنى يتصالحا، لأنّ التصالح في هذا الموضع

2- النساء/.128.
3- الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه:126.

1- سورة الحجرات،من الآية/9.
2- ينظر:حجة القراءات،ابن أبي زرعة:213،214،والجامع لأحكام القرآن، القرطبي:5/.405،406
3- زاد المسير،ابن الجوزي:218/2.
4- جامع البيان،الطبري:310/5.

أشهر وأوضح معنى وأكثر على ألسنة العرب من الإصلاح والإصلاح خلاف الإفساد أشهر منه في معنى التصالح)).[1]

وبذلك نرى أنّ القراءة بالتشديد أوضح معنى وأفصح وأشهر من القراءة من دونه. وممّن يرى أنها أولى الشوكاني(ت1250ه) قال:((يصّالحا قراءة الجمهور وهي أولى لأنّ قاعدة العرب أنّ الفعل إذا كان بين اثنين فصاعدا قيل تصالح الرجلان أو القوم لا أصلح))[2].

أمّا لم قال "بينهما" وهو ظاهر من نصّ الآية الكريمة ؟ قيل: ذكر(بينهما) تنبيها على أنّه لا ينبغي أن يطّلع الناس على ما بينهما بل يسترانه بينهم.[3]

وممّا قرىء بالتشديد والتخفيف" يكذّبونك" من قوله تعالى:﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.[4]

قال ابن مجاهد:((واختلفوا في التشديد والتخفيف من قوله "لا يكذّبونك"، فقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة وابن عامر لا يكذّبونك مشدّدة. وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك خفيفة)).[5]

وكما ترى هما قراءتان، ولكلّ قراءة منهما دلالة غير الأخرى. فمن قرأ بالتشديد احتجّ بأنّ المراد: لا يجدونك كاذبا لأنّهم ما كانوا يشكّون في صدق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم). ولكنّهم يكذّبون بما جئت به. وقيل معناه: أنّهم لا يأتون بدليل يدلّ على كذبك. أمّا من قرأ بالتخفيف فأراد أنّهم لا يكذّبونك في نفسك ولكن بما تحكيه عن الله عزّ وجلّ. وقيل هما لغتان مثل أوفيت الرجل حقّه ووفّيته حقّه أعظمته وعظّمته.[6]

فالمعنى على قراءة التخفيف: لا يكذبونك، لا يجعلونك كذّابا، وإنما يريدون أنّ ما جئت به باطل. وفيه وجه آخر هو: لا يجدونك كذّابا، يقال: أكذبته إذا أصبته كذلك، كقولك: أحمدته إذا أصبته محمودا. وقيل: هو بمعنى المشدّد أي نسبوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) للكذب، وحاشاه عن ذلك.[7]، أمّا قراءة التشديد، فمعناها تكذيب الرسول(صلى الله

1- فتح القدير،الشوكاني:1/.521
2- روح المعاني،الآلوسي:162/5.
3- الأنعام/33.
4- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:257،وينظر:الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه:138.
5- ينظر:حجّة القراءات،ابن أبي زرعه:247،248 ، والجامع لأحكام القرآن،القرطبي:416/6.

1-ينظر:معاني القرآن،للفرّاء:331/1،ومعاني القراءات،الأزهري:152،والتبيان في إعراب القرآن،العكبري:1/.240
2- معاني القرآن،الفرّاء:331/1.

عليه وآله وسلّم) قال الفرّاء:((والتكذيب أن يقال: كذبت. والله أعلم)).[1] وقيل نسبته إلى الكذب.

وفسّر قوله تعالى "لا يكذّبونك" بمعنى لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به ممّا في كتبهم: كذبت. وفيه وجه آخر: بأنّهم لا يكذّبونك بقلوبهم فأنت عندهم صدوق ولكنّهم جحدوا بألسنتهم ما تشهد قلوبهم بكذبهم فيه. وممّا يقوّي هذا قوله تعالى بعد ذلك" بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ". والجحد الإنكار مع العلم قال تعالى:﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.[2]، وقيل لا يعتقدون أنّك كاذب ولكنّهم يعاندون ويدفعون الحقّ بعد معرفته جحودا وعنادا.[3]

ومن هنا يتّضح لنا أثر التشديد في تغيير المعنى وما يشعّه على السياق من دلالة، فالقراءة بالتشديد فيها نفي تكذيب النبي (صلى الله عليه وآله) بمعنى أنّه غير كاذب ووقوعه على ما جاء به، وأظنّه الأنسب هنا. وقد صوّب الطبري القراءتين بقوله:((والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال أنّهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكلّ منهما جماعة من القراء، ولكلّ واحدة منهما في الصحّة مخرج مفهوم)).[4]

ومن الأنعام إلى الأعراف فيطالعنا قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.[5]

فقد قرىء قوله: "يمسّكون"بالتخفيف والتشديد، والتشديد رسم المصحف، قال ابن خالويه:((قرىء ها هنا وفي الممتحنة بالتشديد والتخفيف، فالحجة لمن شدّد أنّه أخذه من مسّك يمسّك إذا عاود التمسّك بالشيء، ودليله أنّه في حرف أبي "والذين مسّكوا بالكتاب"، والحجة لمن خفّف أنّه أخذه من أمسك يمسك، ودليله قوله تعالى: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ" ولم يقل مسّك)).[6]، والتي في الممتحنة هي قوله تعالى:﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾.[7]

3- النمل/.14

4- ينظر:لسان العرب،ابن منظور:707/1،والتبيان في أقسام القرآن،محمّد بن أبي بكر أيوب الزرعي:.33

5- جامع البيان،الطبري:181/7.

1- الأعراف/.170

2- الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه:166،167،والآية/37من سورة الأحزاب،وينظر:الكشّاف،الزمخشري:175/2

3- الممتحنة/.10

وما يهمّنا هو بيان الفرق الدلالي بين قراءة التخفيف والتشديد، حيث لم أجد من أشار إلى الفرق بين القراءتين، بل هناك من جعلهما بمعنى واحد كالأزهري، قال:((يقال:أمسكت بالشيء، ومسّكت به، وتمسّكت به، وامتسكت واستمسكت بمعنى واحد)).[1]

وأغلب الظن أنّ بينهما فرقا دقيقا، فالإمساك غير التمسّك ولذلك عبّر القرآن الكريم بـ "يمسّكون". والمطلوب هو التمسّك بالكتاب وليس الإمساك به، لأنّ التمسّك أقوى في الدلالة من الإمساك، ووجه آخر هو إنّ التمسّك يكون في الأمور التي يبعد عنها بحيث تلاقي المتمسّك صعوبات جمّة لا يجدي معها الإمساك. والدليل على ذلك حديث الرسول(صلى الله عليه وآله) قبيل وفاته:((إنيّ تارك فيكم الثقلين،كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبدا ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض)).[2]

فقد عبّر الرسول (صلى الله عليه وآله) بلفظ التمسّك، ولم يقل: "ما إن أمسكتم" وكلاهما ممّا يواجه الإنسان صعوبات جمّة وضيقا وحرجا في التمسّك بهما سواء على صعيد المستوى الخاص أو العام.

ولذلك القراءة بالتشديد هنا أولى والله أعلم. وثمّة أمر آخر لابدّ من الإشارة إليه هو لم قال "يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة". فغيّر مع الصلاة بأقاموا أوّلا، واختارها من بين سائر العبادات ثانيا ؟

قال الآلوسي(ت1270ه):((ولعلّ التغيّر في المشهور للدلالة على أنّ التمسّك أمر مستمر في جميع الأزمنة بخلاف الإقامة فإنّها مختصّة بأوقات مخصوصة. وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات مع دخولها بالتمسّك بالكتاب، لإنافتها عليها لأنّها عماد الدين)).[3]

4- معاني القراءات،الأزهري:.193

5- الكافي،الشيخ الكليني:415/2،وينظر:كمال الدين وإتمام النعمة،الشيخ الصدوق:94،المنتخب من مسند عبد حميد:108.

أناف:أشرف،وناف الشيء ينوف إذا طال وارتفع،ينظر:غريب الحديث،ابن قتيبة:175/2،والنهاية في غريب الحديث،ابن الأثير:141/5،ولسان العرب،ابن منظور:342/9،والمراد أنّ الصلاة أشرف العبادات،وهي ترتفع على جميع العبادات،ولذلك ورد في الحديث الصلاة عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وان ردّت ردّ ما سواها.

2- روح المعاني،الآلوسي:98/9.

ويطالعنا في بيان دلالـــة التشديد في ضوء السياق القرآني قولــه تعالى:﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.[1]، فقوله تعالى "يخرّبون" ممّا قرىء بالتشديد والتخفيف.

قال ابن مجاهد:((قرأ أبو عمرو وحده "يخرّبون بيوتهم" مشدّدة ، وقرأ الباقون "يخربون" خفيفة)).[2]

وهما قراءتان كما ترى ولكلّ قراءة معناها، فمن خفّف أراد يرحلون عنها ويتركونها تقول العرب: أخربنا المنزل إذا هم ارتحلوا عنه وان كان صحيحا. ومن شدّد أراد يهدمونها وينقضونها، تقول العرب: خرّبنا المنزل إذا هم هدّموه، وقيل يعرّضونها لأن تخرّب.[3]

ويرى ابن أبي زرعه(ت505ه) أنّ ممّا يدلّ على قراءة التشديد قوله " بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ". فذكر البيوت والأيدي للتكثير وتردّد الفعل كما قال:﴿وَغَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ﴾.[4]، أمّا قراءة التخفيف فيرى أنّ لها معنيين، أحدهما: الترك. والثاني: الهدم فيجرى ذلك مجرى أوفيت ووفّيت وأكرمت وكرّمت.[5]

والفرق بين القراءتين هو: أنّ المشدّدة معناها النقض والهدم، والمخفّفة معناها الخروج وترك البيوت خرابا معطّلة.

1- الحشر/.2
2- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:.632
3- ينظر:الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه:344،ومعاني القراءات،الأزهري:.486
4- يوسف/.23
5- ينظر:حجة القراءات،ابن أبي زرعه:705.

ويعلّل لنا أبو عمرو سبب اختياره قراءة التشديد فيما نقل عنه في الجامع لأحكام القرآن، بقوله:((إنما اخترت التشديد لأنّ الاخراب ترك الشيء خرابا بغير ساكن، وبنو النضير لم يتركوا البيوت خرابا وإنما خرّبوها بالهدم)).[1]، ثمّ يقول القرطبي بعد ذكر هذا الكلام، ((وقال آخرون: التخريب والاخراب بمعنى واحد، والتشديد بمعنى التكثير، وحكى سيبويه: أنّ معنى فعلت وأفعلت يتعاقبان نحو: أخربته وخرّبته، واختار أبو عبيد(ت224ه) وأبو حاتم(ت248ه) الأولى)).[2]

وعلى ذلك لا فرق بين القراءتين فهما بمعنى واحد. ولكن بشرط أن يكون معنى قوله "يتعاقبان" دلالة معنى أحدهما على الآخر وهو الأقرب إلى مصطلح النحاة. أمّا إذا كان معنى "يتعاقبان" يأتي أحدهما عقيب الآخر، فذلك مدعاة للتفريق بينهما. ويرى البيضاوي: أنّ القراءة بالتشديد أبلغ لما فيها من التكثير.[3]

وبذلك نرى أهميّة التشديد وأثره في تكوين دلالات واسعة وإثراء النصّ القرآني بدلالات متعددة وهو ما لمسناه واضحا من خلال النصوص القرآنيّة التي استعرضناها في هذا المبحث.

وممّا تجدر الإشارة إليه قبل أن أختم مبحث التشديد بيان الصيغ التي وردت مشدّدة مرة وغير مشدّدة أخرى. ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة:﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾.[4]

قال ابن الجزري(ت833ه):((واختلفوا في:﴿ مَنْ يَرْتَدَّ﴾، فقرأه المدنيّان وابن عامر بدالين الأولى مكسورة والثانية مجزومة، وكذا هو في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون بدال واحدة مفتوحة مشدّدة وكذا هو في مصاحفهم، واتفقوا على حرف البقرة وهو﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾. أنّه بدالين لإجماع المصاحف عليه كذلك، ولأنّ طول سورة البقرة يقتضي الإطناب وزيادة الحرف، ألا ترى إلى قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُشَاقِقْ اللَّهَ

1- الجامع لأحكام القرآن،القرطبي:4/18.
2- المصدر نفسه،4/18، والنص من كتاب سيبويه:62/4.
3- أنوار التنزيل، البيضاوي:317/5.

1- البقرة،من الآية/.217

وَرَسُولَهُ﴾. في الأنفال كيف أجمع على فكّ إدغامه وقوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ﴾. في الحشر كيف اجمع على إدغامه، وذلك لتقارب المقامين من الإطناب والإيجاز)).[1]

وقد علّل ابن الجزري الاتفاق على فكّ التشديد في سورة البقرة بسبب طول سورة البقرة الذي يقتضي الإطناب وزيادة الحرف. أمّا الآيتان في سورة الأنفال والحشر "يشاق ويشاقق" فقد وجدت لهما أكثر من تعليل، سأذكرها بادئا بالأقدم فالأقدم. وأوّل من أشار إلى ذلك الزركشي:(ت749ه)، حيث يرى أنّه توافق مع لغات العرب لأنّ لغة الحجاز الفكّ، فيشاقق ويرتدد جاءا على لغة الحجازيين، ولغة تميم الإدغام ، فيشاقّ ويرتدّ جاءا على لغة التميميين.[2]

ويعطينا أبو السعود:(ت951ه) بعدا دلاليّا آخر في الآية يقول في قوله تعالى "يشاقق":((الإظهار في موضع الإضمار لتربية المهابة وإظهار كمال شناعة ما اجترأوا عليه والإشعار بعلّة الحكم)).[3]وكأنّ يشاقق هنا أكثر دلالة من "يشاق" في إظهار شناعة فعلهم مع الله ورسوله(صلى الله عليه وآله).

أمّا الآلوسي: فيرى أنّ فكّ الإدغام فيه رعاية لجانب المعطوف ولذلك لم يفكّ في الحشر في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ﴾.[4]

وقيل في حكمة الفك أنّ "أل" في الاسم الكريم لازمة بخلافها في الرسول واللزوم يقتضي الثقل فخفّف بالإدغام فيما صحبته لفظة الجلالة بخلاف ما صحبه لفظ الرسول،وهذا في سورة الحشر.أمّا الأنفال فصار المعطوف والمعطوف عليه كالشيء الواحد.[5]

أمّا دلالة "يشاقق" فيرى أنّ فيها من تهويل أمرها ما فيها وكذلك لموافقة قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[6]

ويرى باحث معاصر أنّ سبب مجيء الصفتين على هذه الشاكلة المتباينة أنّ قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُشَاقِقْ اللَّهَ﴾. قد قويت فيه الحركة في القاف الأخيرة لملاقاتها كلمة لزم أوّلها

2- النشر في القراءات العشر،ابن الجزري:255/2،والآيات:الأولى،المائدة،من الآية/54،ونظائر هذه الآية" يرتدّ---إبراهيم/23،وفي النمل/40" والثانية،الأنفال،من الآية/13،والثالثة،الحشر،من الآية/.4
3- ينظر: البرهان في علوم القرآن،الزركشي:285/1.

1- إرشاد العقل السليم، لأبي السعود:11./4
2- الحشر/.4
3- ينظر:روح المعاني،الآلوسي:146./5
4-ينظر:روح المعاني،الآلوسي:42/28،والآية القرآنيّة،سورة الأنفال من الآية/13.
5-ينظر:التنغيم اللغوي في القرآن الكريم،سمير إبراهيم:107،108.

السكون وهي اللام الأولى من لفظ الجلالة "الله". وليس كذلك "من يشاقق" لأنّ القاف قد تلاقي ما يتعلّق بها متحرّكا وهو"ورسوله" على تقدير: "من يشاقق رسول الله"، وبذلك يكون سبب الإدغام في الحشر قوّة حركة القاف. [1]

دلالة الوقف:

الوقف هو قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة، وهو اختياري وهو غير الوقف الذي يكون استثباتا وإنكارا وترنما.[2]

وما يهمّنا في بحثنا هو ما يؤدّيه الوقف من دلالات في الآيات القرآنيّة، ومعان من شأنها إفادة اللغة وإثراء النص القرآني بالدلالات المختلفة، فلا ريب أن تكون له دلالته، ويتّضح ذلك جليّا في الكثير من الشواهد القرآنيّة بصورة عامّة، وفي الوقف على الفعل المضارع بصورة خاصّة.

ومن الآيات القرآنيّة التي تطالعنا في هذا المجال قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.[3]، فلو نظرنا إلى الآية الكريمة نظرة نستوحي منها المعنى لفهمنا أنّ الموتى داخلون في الاستجابة مع الذين يسمعون، وليس هذا المراد من الآية بل إن العبارة الأولى مستقلّة عن الثانية في الآية الكريمة،قال صاحب فهم القرآن في حديثه عن الآية:

((وأمّا ما قطع الله تبارك وتعالى بالقول، فلم يصله بمعنى ثان فيكون معناهما واحدا ممّا قطع الأوّل، وان وصله بغيره بتمام معنى الأوّل واستأنف قوله ثانيا،وصله بمعنى ثان مستقل ليفرّق به بين المعنيين)).[4]، ثمّ قال:((وقوله: " إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ " قطع المستمعين من الموتى، ثمّ قال يبعثهم الله فوصل المعنى بذكر البعث معهم)).[5]

فعلى الوصل يكون المعنى: إنّما يستجيب الذين يسمعون والموتى، فهم سواء في الاستجابة،وهذا غير صحيح،فقوله: إنّما يستجيب الذين يسمعون كلام مستقلّ عمّا بعده، ثمّ قال: والموتى يبعثهم الله فوصل يبعثهم الله بالموتى ليفرّق بين المعنيين.

وقد جعل الدكتور إسماعيل أحمد الطحّان هذه الآية ضمن الموضع الأوّل من مواضع الوقف وهو ما يوقف عليه ويقبح وصله، لإحالة المعنى وفساده، وهو ما ليس بين جزئيه تعلّق لفظي ولا معنوي.[6]

1- ينظر: النشر في القراءات العشر،ابن الجزري:240/1.
2- سورة الأنعام،الآية/.36
3- فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي:498.
4- المصدر نفسه:.499
1- دور الوقف في خدمة النصّ القرآني،إسماعيل أحمد الطحّان:.373

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.[1]

قال القرطبي:((والوقف على قوله: "سلام عليكم"، وعلى قوله: "لم يدخلوها"، ثمّ يبتدىء وهم يطمعون، على معنى وهم يطمعون في دخولها، ويجوز أن يكون وهم يطمعون حالا ويكون المعنى: لم يدخلها المؤمنون المارون على أصحاب الأعراف طامعين، وإنّما دخلوها غير طامعين في دخولها، فلا يوقف على "لم يدخلوها")).[2]

ويظهر من النص أنّ الوقف على "سلام عليكم" والابتداء بـ "لم يدخلوها"، أو على: " لم يدخلوها"، ثمّ يبتدىء وهم يطمعون. فإذا وقف على "سلام عليكم" كان المعنى: ونادى رجال الأعراف أصحاب الجنّة(أن سلام عليكم). وأهل الجنّة لم يدخلوها بعد وهم يطمعون في دخولها. أمّا إذا وقف على "لم يدخلوها" فيحتمل النصّ معنى آخر وهو: لم يدخلوها لأنّهم محبوسون، ثمّ يبتدىء " وهم يطمعون " في دخولها لم ييأسوا.[3]

ومن هنا يتبيّن لنا دور الوقف في تأدية المعاني، وإظهار المقاصد التي يرمي إليها القرآن الكريم، ولننظر إلى قوله تعالى في سورة الفتح، ونتبيّن أهميّة الوقف ودوره في إيضاح المعنى المطلوب، قال تعالى:﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.[4]

قال البغوي:((وتعزّروه أي تعينوه وتنصروه، وتوقّروه تعظّموه وتفخّموه، هذه كنايات راجعة إلى النبي "صلى الله عليه وآله"، وههنا وقف. وتسبّحوه أي تسبّحوا الله يريد تصلّوا له بكرة وأصيلا)).[5]

والمعنى على ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتنصروا الرسول وتعظّموه، فالتعزير والتوقير راجعان إلى النبي "صلى الله عليه وآله"، أمّا التسبيح فعائد على الله تبارك وتعالى، ولو أنّه وصل لأوهم عود الضمائر الثلاثة على شيء واحد، والمراد عود الضميرين الأوّلين على الرسول "صلى الله عليه وآله"، وعود الأخير على الله تبارك وتعالى.[6]

وبذلك ندرك أثر الوقف على الفعل المضارع في بيان معاني الآيات القرآنيّة وما له من أهميّة في توجيه تلك المعاني، بما يناسب المقصود القرآني تارة، وإثراء النص اللغوي القرآني بالدلالات المتعدّدة تارة أخرى.

2- سورة الأعراف،الآية/46.
3- الجامع في أحكام القرآن،القرطبي:7/.213
4- ينظر: دور الوقف في خدمة النصّ القرآني،إسماعيل أحمد الطحّان:401/1.
5- سورة الفتح،الآية/.9
1- تفسير البغوي:190/4،وينظر: فتح القدير الشوكاني:47/5.
2- ينظر: دور الوقف في خدمة النص القرآني،إسماعيل أحمد الطحّان:1/.375

دلالات أخرى:

هناك دلالات صوتيّة مبثوثة في كتب التفسير واللغة والأصوات، ولكنّي لم أجد لها أمثلة كثيرة ممّا يجعلها ظاهرة مطّردة يمكن أن تفرد ببحث مستقلّ. ومن هذه الدلالات، دلالة "الأز" في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾.[1]،حيث حلّلها ابن جنّي تحليلا صوتيّا، فهو يرى أنّ: "تؤزّهم" في الآية الكريمة بمعنى تهزّهم،قال:((تؤزّهم أزّا، أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزّهم هزّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظين لتقارب المعنيين)).[2]

وهو تحليل صوتي كما ترى يوضّحه القرب بين الهمزة والهاء الناتج من كونهما يخرجان من مخرج واحد هو الحلق، قال سيبويه:((فللحلق منها ثلاثة، فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف)).[3] ، ويعلّل ابن جنّي اختيار الهمزة هنا بأنّها:((أقوى من الهاء،

1- مريم/.83

2- الخصائص،ابن جنّي:146/2،وينظر:الخطاب النقدي،إبراهيم الوائلي:.99

3- الكتاب،سيبويه:334./4

4- الخصائص،ابن جنّي:146/2.

5- ينظر: الكتاب،سيبويه:324./2

6- ينظر:شرح المفصّل،ابن يعيش:47./1

7- ينظر:شرح الرضي على الكافية:4/3.

ومعناها أعظم في النفوس من الهزّ لأنّه يشمل ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك)).[1]، ومنها التماثل الصوتي: وهو ما يعرف بـ"المضارعة".[2]، أو "التجنيس".[3]، أو "المناسبة".[4]

ويسمّيه المحدثون "المماثلة".[5]، وهو تأثير الأصوات اللغويّة بعضها ببعض تأثيرا يؤدّي إلى التقارب في الصفة أو المخرج تحقيقا للانسجام الصوتي، وتيسيرا لعمليّة النطق، واقتصادا في الجهد العضلي.

ومن نماذج التقارب المخرجي في الراء والنون، وهما يخرجان من طرف اللسان والثنايا، وكلاهما من حروف الثنايا، وكلاهما من حروف الذلاقة.[6]

فالأوّل: يتكرّر فيصبح قويّا عنيفا، والثاني: يجعل مع الحركات انسجاما موسيقيا فيه لذّة في النطق والسماع، كقوله تعالى:﴿لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَـٰتِنَا﴾.[7]، وقوله تعالى:﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾.[8]، فنلاحظ قوّة الراء في قوله تعالى: "لنريه" وعذوبتها ورقّتها في قوله تعالى: "نراه".[9]،ومنها قوله تعالى:﴿وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.[10]، التي لها أزيزها الحالم ونغمها الرقيق،

1- ينظر:الأصوات اللغويّة،إبراهيم أنيس:126،والتنغيم اللغوي:سمير إبراهيم العزّاوي:90.وعرض لتعريفات المماثلة قديمها وحديثها د. عبد القادر مرعي خليل في كتابه:المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر،ينظر:132،138.

2- المصدر نفسه:.90

3- الإسراء/.1

4- المعارج/3،4.

5- ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم،سمير إبراهيم العزّاوي:.90

6- النور،من الآية/.35

7- ينظر: الصورة الفنّية في المثل القرآني،الدكتور الصغير:240.

نتيجة التقاء حرفي السين المتجاورين بما لا تحقّقه كلمة أخرى تؤدّي المعنى نفسه، ولكنّها لا تؤدّي هذه الدلالة الصوتيّة.[1]

ومن الدلالة الصوتيّة دلالة حذف الصوت اللغوي تارة وإثباته أخرى في السياق القرآني نفسه، وقد تحدّث عن ذلك الزركشي في البرهان وضرب له عددا من الأمثلة القرآنيّة، منها قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.[2]، فيرى أنّ في حذف النون تنبيهاً على أنّها وان كانت صغيرة في المقدار حقيرة في الاعتبار فان إليه ترتيبها وتضعيفها.[3]

وقد يقتضي السياق حذف حرف في موضع وإثباته في آخر لغرض بلاغي تظهر فيه روعة البيان القرآني، ومن ذلك قوله تعالى في سورة النحل:﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.[4]، وقوله في سورة النمل:﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.[5]

فقد حذف النون في الأولى وأثبتها في الثانيّة، وذلك لأنّ السياق القرآني مختلف في السورتين، فالآية الأولى نزلت حين مثّل المشركون بالمسلمين يوم أحد، فوقف الرسول(صلى الله عليه وآله) على حمزة وقد رآه مبقور البطن، فعظم ذلك في نفسه، فجاء قوله تعالى: " وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ". أي لا يكن في صدرك ضيق مهما قلّ، فحذف النون إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس أصلا. وفيه تطييب وتخفيف لأمر الحدث وتهوينه على المخاطب.[6]

أمّا الآية الثانية فهي في سياق المحاجّة في المعاد وهو ممّا لا يحتاج إلى مثل هذا التعبير. ولذلك قال: " وَلَا تَكُنْ ".[7]

وبذلك نرى كيف يبيّن لنا القرآن أهميّة الصوت اللغوي ودلالته ويظهر لنا روعة البيان القرآني في استعمال الألفاظ كلّ في موقعه المناسب.

1- النساء/.40
2- ينظر:البرهان في علوم القرآن،الزركشي:408/1.
3- النحل/.127
4- النمل/.70
5- ينظر:التعبير القرآني،فاضل السامرّائي:74.
6- المصدر نفسه:74.

ومنه أيضا حذف التاء من بعض الصيغ، فقد قال تعالى:﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.[1]، وقال في السورة نفسها:﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[2]

فقد وردت في الآية الأولى " تَتَذَكَّرُونَ" بتاءين. وفي الثانية: " تَذَكَّرُونَ"، بتاء واحدة، والسبب في ذلك يذكره لنا الباحث سمير إبراهيم نقلا عن كتاب نظم الدرر:((أنّ الصيغ التي حذفت منها تاء الفعل كان يراد من وراء حذفها الإشارة بأنّه يكفي في هذا الموطن أدنى حد من التذكرة ولو على وجه خفي)).[3]

ومن ذلك التخفيف، فقد ورد في بعض الآيات القرآنيّة، ومنها قوله تعالى في سورة البقرة:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.[4]

قال ابن مجاهد:((وقال سيبويه:كان أبو عمرو يختلس حركة الراء من بارئكم ويأمركم، وما أشبه ذلك ممّا تتوالى فيه الحركات فيرى من سمعه أنّه قد سكّن ولم يكن يسكّن)).[5]

وقال العكبري:(ت606ه) في يأمركم:((الجمهور على ضمّ الراء،وقرىء بإسكانها، لأنّ الكاف متحرّكة وقبل الراء حركة فسكّنوا الأوسط تشبيها لها بعضد، وأجروا المنفصل

1- الأنعام/80.
2- الأنعام/.152
3- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:322/7، وينظر:التنغيم اللغوي في القرآن الكريم،سمير إبراهيم العزّاوي:.106
4- البقرة/67.

الاختلاس: هو إسراع بالحركة ليحكم السامع بذهابها وهي كاملة الوزن والصفة:ينظر القواعد والإشارات في أصول القراءات ،أبي عمرو الداني:.52
1-السبعة في القراءات،ابن مجاهد:155،156.

مجرى المتّصل، ومنهم من يختلس الحركة ولا يسكّن. والجيّد همزه، وقرىء بالألف على إبدال الهمزة ألفا، لسكونها وانفتاح ما قبلها ومثله الراس والباس)).[1]

والظاهر من النصّين أنّ سبب اختلاس الحركة هو طلب الخفة في الكلام وذلك عند توالي الحركات فيميل القارىء إلى تخفيف الحركة أو اختلاسها طلبا للخفة.

ومن ذلك قوله تعالى في آل عمران:﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[2]

قال ابن مجاهد:((واختلفوا في ضمّ الراء وفتحها من قوله " وَلَا يَأْمُرَكُمْ" فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي" وَلَا يَأْمُرَكُمْ" رفعا، وكان أبو عمرو يختلس حركة الراء تخفيفا. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة " وَلَا يَأْمُرَكُمْ" نصبا)).[3] وقد روي عن أبي عمرو التسكين أيضا .[4]، وتسكين حركة الإعراب غير مقبول عند علماء اللغة القدماء، ولذلك وصفت هذه القراءة باللحن والغلط، ووجّهوا ما ورد بالتسكين على أنّه اختلاس الحركة. والسبب في تسكين الحركة واختلاسها هو التخفيف في الكلام وطلب السهولة واليسر في النطق.[5]

ومنه أيضا قوله تعالى:﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾.[6]، فقد وردت "أنلزمكموها" ساكنة في قراءة شاذة رويت عن أبي عمرو[7]، وفسّر الفرّاء هذا التسكين بالخفّة، قال:((العرب تسكّن الميم من اللزوم فيقولون: أنلزمكموها، وذلك أنّ الحركات قد توالت فسكّنت حركة الميم لحركتها وحركتين بعدها وإنّها مرفوعة، فلو كانت منصوبة لم تستثقل فتخفّف إنما

2- التبيان،العكبري:42/1.
3- آل عمران/.80
4- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:213
5- ينظر: أبو عمرو ابن العلاء جهوده في القراءة والنحو،زهير غازي زاهد:69.

1- ينظر: أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو، زهير غازي زاهد:69.
2- هود/28.
3- ينظر:مختصر في شواذ القرآن،ابن خالويه:59،وروح المعاني،الآلوسي:40./12
4- معاني القرآن،الفرّاء:12/2.
5- المصدر نفسه:88/1.وينظر:المنهج الصوتي للنحو العربي في معاني القرآن، محمّد كاظم البكّاء:104.
6- ينظر:أبو عمرو ابن العلاء جهوده في القراءة والنحو،زهير غازي زاهد:69.

يستثقلون كسرة بعدها ضمّة أو ضمّة بعدها كسرة أو كسرتين متواليتين أو ضمّتين متواليتين)).[1]

فالفرّاء ينقل لنا في هذا النص مشروعيّة تخفيف حركة الإعراب وكأنّه يلتمس بابا لجواز التسكين، ومع أنّه يحاول إيجاد مسوّغ لهذه القراءة، نراه يقول في قراءة الرفع:((والرفع أحبّ إليّ من الجزم)).[2]، وهو كلام يقتضيه واقع اللغة، فالفعل مرفوع أصلا وتسكينه للتخفيف، فلا بدّ من أن يكون الرفع هو الأولى والأصح. وقد ذهب إلى التسكين أبو عمرو والكسائي.[3]

ومع هذه التفسيرات التي تسوّغ التسكين هناك من لا يجيز التسكين في حركة الإعراب، فقد نقل الآلوسي عن الزجّاج(ت311ه) قوله:((أجمع النحويّون البصريّون على أنّه لا يجوز إسكان حركة الإعراب إلا في ضرورة الشعر، وأمّا ما روي عن أبي عمرو من الإسكان فلم يضبطه الراوي، وقد روى عنه سيبويه أنّه كان يخفّف الحركة ويختلسها وهذا هو الحق، وذكر نحو ذلك الزمخشري، وقال: إنّ الإسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذّاق البصريين)).[4]

والنص يبيّن لنا بوضوح رأي علماء اللغة في عدم جواز تسكين حركة الإعراب، وتوجيهها لما ورد بأنّه اختلاس للحركة وليس تسكينا.

1- روح المعاني،الآلوسي:40/12.

دلالة الصيغة :

تحتلّ الصيغة الصرفيّة موقعا مهمّا في التعبير القرآني، وفي كلام العرب شعرا ونثرا، ولذلك أولاها علماء العربيّة قدرا بالغا من الأهمّيّة، فأخذوا يبيّنون معاني الصيغ، سواء أكانت تلك الصيغ اسميّة، أم فعليّة. وهم يشيرون إلى دلالة كل صيغة، فالألفاظ عندهم أدلّة على المعاني، وحسبي في الاستشهاد على ذلك بما نقله الزركشي في البرهان، قال:

((وأعلم أنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثمّ نقل إلى وزن آخر أعلى منه فلا بدّ أن يتضمّن من المعنى أكثر ممّا تضمّنه أوّلا، لأنّ الألفاظ أدلّة على المعاني، فإذا زدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة)).[1]

فالنصّ يشير بوضوح إلى أهمّية الصيغة كونها مؤثّرة في المعنى المراد والمطلوب.

وحين نتابع ذلك في القرآن الكريم نجد توظيفا دلاليّا عجيبا للصيغ الصرفيّة، يمثّل سرّا من أسرار إعجازه، إذ يختار لكلّ مقصد من مقاصده ومرمى من مراميه الصيغة المناسبة التي تحمل الدلالة الموحية، والجمال الفنّي، والتعبير الدقيق.

وممّا لا ريب فيه أنّ استعمال صيغة معيّنة في التعبير القرآني، أو إيثار صيغة على أخرى ليس اعتباطا، وإنّما هو مقصود قصدا ، فاستعمال القرآن لصيغة " مقتدر" وإيثارها على صيغة " قادر" في قوله تعالى:﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾.[2]، لدلالة هذه الصيغة على أنّه قادر متمكّن القدرة لا يردّ شيء عن اقتضاء قدرته، فهو أبلغ من قادر.[3]

وكذلك الأمر بالنسبة لصيغة الفعل المضارع من مثل "يصطرخون" في قوله تعالى:﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.[4]، فهو أبلغ من يصرخون للإشارة إلى أنّهم يصرخون صراخا منكرا خارجا عن الحدّ المعتاد.[5]

وهذا ما يطالعنا في صيغ الفعل المضارع، فهي خاضعة لما قدّمنا أيضا فدلالة صيغة "يفعل" غير دلالة صيغة "يفاعل" ، وكذلك صيغة "يستفعل" و"ينفعل" وغيرها من صيغ المضارع.

1- البرهان في علوم القرآن:3/.34
2- سورة القمر/.42
3- ينظر:البرهان في علوم القرآن:3/.34
1- سورة فاطر/.37
2- الإتقان في علوم القرآن،السيوطي:237/2.

وقد وردت في القرآن الكريم استعمالات متعدّدة لصيغ المضارع، ومن المؤكّد أنّ لكلّ صيغة دلالتها ومقصودها الذي يرمي إليه القرآن عند استعماله لهذه الصيغة والذي لا يكمن أن تؤديه صيغة أخرى.

وأوّل ما يطالعنا في هذا المجال قوله تعالى في سورة البقرة:﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.[1]، فقوله "يخدعون" ممّا قرىء بضمّ الياء واثبات الألف "يخادعون"، وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبو عمرو. وبفتح الياء وطرح الألف "يخدعون" وهو رسم المصحف، وهي قراءة أهل الشام والكوفة.[2] ، ولكلّ قراءة حجتها، قال ابن خالويه:((فالحجة لمن أثبتها أنّه عطف لفظ الثاني على لفظ الأوّل ليشاكل بين الفظين، والحجة لمن طرحها أنّ "فاعل" لا يأت في الكلام إلاّ من فاعلين يتساويان في الفعل، كقولك: قاتلت فلانا وضاربته، والمعنى بينهما قريب ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قاتلهم الله﴾. بمعنى قتلهم، وكذلك يخادعون بمعنى يخدعون)).[3]

وتتجلّى ثمرة اختلاف القراءة فيما تؤدّي إليه من دلالة في الآية الكريمة. فدلالة "يخدعون" غير "يخادعون" وهذا ما سيتبيّن لنا فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

فمن قرأ بالألف يرى أنّ الرجل يخادع نفسه ولا يخدعها. ونقل ابن أبي زرعة عن الأصمعي أنّه قال: ليس أحد يخدع نفسه إنّما يخادعها، أمّا القراءة بغير ألف فالمعنى فيها إنّ الله يخبر عن هؤلاء المنافقين أنّهم يخادعون الله والذين آمنوا بقولهم آمنّا فيثبت لهم المخادعة ثمّ يخبر عنهم أنهم لا يخدعونه فيكون قد نفى عنهم في آخر الكلام ما أثبته لهم في أوّله، وانّ الخدع يحيق بهم خاصّة دونه.[4]

وهناك فرق بين خدع وخادع أثبته أهل اللغة فقالوا:((خادع أي قصد الخدع وان لم يكن خدع، وخدع معناه بلغ مراده. والاختيار عندهم"يخادعون" في الأولى لأنّه غير واقع، والاختيار في الثاني"يخدعون" لأنّه أخبر تعالى أنّه واقع بهم)).[5]

وأنت تلاحظ من خلال النص أثر اختلاف الصيغة في الدلالة، وقال الطبرسي: ((حجة من قرأ "يخدعون" أنّ فعل هنا أليق بالموضع من فاعل الذي هو في أكثر الأمر يكون لفاعلين، ويدلّ عليه قوله تعالى:﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾.)).[6]

ويرى أبو البقاء العكبري أنّ المفاعلة من اثنين هنا قال:((والأصل في المفاعلة أن تكون من اثنين، وهي على ذلك هنا لأنّهم في خداعهم ينزّلون أنفسهم منزلة أجنبي يدور

3- سورة البقرة،الآية/.9

4- ينظر:الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه:68،ومختصر شواذ القرآن،ابن خالويه:2،وحجة القراءات،ابن أبي زرعة:.87

5- الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه:68

1- ينظر:حجة القراءات،ابن أبي زرعة:.87

2- معاني القرآن،النحّاس:89/1.

3- مجمع البيان،الطبرسي:99/1.والنصّ القرآني في سورة النساء من الآية/.142

الخداع بينهما، فهم يخدعون أنفسهم وأنفسهم تخدعهم، وقيل المفاعلة هنا من واحد، كقولك: سافر الرجل، وعاقبت اللصّ)).[1]

والظاهر من خلال السياق القرآني وما أقرّه علماء اللغة من كون "يخدعون" دالة على وقوع الخدع حقيقة، أنّ الأقوى في بيان المعنى المراد في الثانية"يخدعون" وليس "يخادعون" كما قرأه بعض القرّاء، لأنّ خدع معناه بلغ مراده كما بيّنا سابقا فوقع الخدع على أنفسهم في الحقيقة.

ومن هذه الآية ننتقل إلى آية أخرى هي قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.[2]

فقوله تعالى:" تفادوهم" قرىء بالألف، وهو رسم المصحف وبه قرأ نافع وعاصم والكسائي ويعقوب، وقرىء" تفدوهم" بغير ألف وهي قراءة الباقين.[3]، واحتجّ كلّ فريق لقراءته ووجّهها توجيها مسندا بشواهد قرآنيّة أو شعريّة، فمن قرأ " تفادوهم" يرى أنّ العرب تقول: فاديت الأسير، وكان أخي أسيرا ففاديته بأسير، ومن ذلك قول نصيب[4] :

ولكنّني فاديت أمّي بعدمـــا علا الرأس منها كبرة ومشيب

والمراد أنّ المفاداة تقع في العين، أسير بأسير، ونصيب فادى أمّه بنفسه، فالفداء واقع بالمثل لا بغيره، أمّا من قرأ " تفادوهم" بغير ألف، فالمعنى فيه على وجهين، أحدهما: الفداء بالمال، ومنه قوله تعالى:﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.[5]، والوجه الثاني: أنّ معنى فديته: خلّصته ممّا كان فيه. وقال أبو معاذ النحوي: من قرأ "تفدوهم" فمعناه: تشترونهم من العدو وتنقذونهم. ومن قرأ "تفادوهم" فمعناه تماكسون من هم بأيديهم بالثمن ويماكسونكم.[6]

4- التبيان في إعراب القرآن،العكبري:1/.16

1- سورة البقرة،الآية/.85

2- ينظر:الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه:84،وحجة القراءات،ابن أبي زرعة:104،والنشر في القراءات العشر،ابن الجزري:2/.218

3- شعر نصيب:65.

4- سورة الصافات،الآية/.107

5- معاني القراءات،الأزهري:56.

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ القراءة بالألف تدلّ على فداء الأسرى ولكن بأسرى مثلهم، وبغير ألف تدلّ على فداء الأسرى سواء أكان ذلك الفداء بأسرى أو بمال أو بغيره. وقال الطبرسي:((من قرأ " تفادوهم" فلأنّ لكلّ واحد من الفريقين فعلا فمن الآسر دفع الأسير. ومن المأسور منهم دفع فدائه، فوجه تفادوهم على هذا ظاهر. ومن قرأ" تفدوهم" فالمعنى فيه مثل المعنى في تفادوهم)).[1]

وما أظنّه مناسباً هنا هو القراءة بالألف كون هذه الصيغة تقتضي المشاركة وسياق الآية يؤيّد ذلك، والمعنى المستفاد من اختلاف الصيغة في الآية الكريمة هو الآتي:
أوّلا: أن تشتروهم بالمال من العدو، وذلك أنّ في دين اليهود ألاّ يكون أسير من أهل ملّتهم في أسار غيرهم وأنّ عليهم أن يفدوه بكل حال، وهذا المعنى المتحصّل من القراءة بغير ألف.
ثانيا: إنّ معنى" تفادوهم" أي تعطوهم أسراهم ويعطوكم أسراكم، فتفادوهم واقعة من الفريقين لا بالمال وإنّما بالأسرى، وتفدوهم تعطوهم فقط.[2]، وبذلك تتّضح دلالة الصيغة الصرفيّة باختلاف القراءة فهي تؤثّر في السياق وما يوحي به من دلالة تتغيّر بحسب تغيّر قراءة مفردة واحدة في الآية الكريمة.

وننتقل إلى آية أخرى من سورة البقرة وهي قوله تعالى:﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾.[3]

1- مجمع البيان،الطبرسي:1/.289.
2- ينظر:الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه:84،وحجة القراءات،ابن أبي زرعة:104.

1- سورة البقرة،الآية/.191
2- ينظر:الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه:94، وحجة القراءات،ابن أبي زرعة:128،والتخريجات النحويّة والصرفيّة لقراءة الأعمش،سمير أحمد عبد الجواد:245.

حيث قرىء قوله تعالى:" تُقَاتِلُوهُمْ، يُقَاتِلُوكُمْ، قَاتَلُوكُمْ " بألف وهو رسم المصحف، وبه قرأ جميع القرّاء إلاّ حمزة والكسائي والأعمش وخلف، فقد قرؤا بغير ألف: " تقتلوهم، يقتلوكم، قتلوكم".[1]

واحتجّ كلّ فريق لقراءته، قال الأزهري:((من قرأ "لا تقتلوهم" فالمعنى: لا تبدؤهم بقتل حتّى يبدؤكم به، وجاز ولا تقتلوهم وان وقع القتل ببعض دون بعض، لأنّ العرب تقول: قتلنا القوم، وإنّما قتلوا بعضهم. ومن قرأ "ولا تقاتلوهم" فإنّهم نهوا عن قصدهم بالقتال حتّى يكون الابتداء منهم. والقتال من اثنين، والقتل من واحد، وأجازت العرب قاتله الله بمعنى لعنه الله، وقيل: في قوله تعالى:﴿ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.أي قتلهم)).[2]

ويلاحظ الفرق في الدلالة الذي جاء من اختلاف الصيغة ففي قراءة "تقتلوهم" نهي عن القتل والبدء به، بينما معنى القراءة الثانية نهي عن القتال والفرق بينهما كبير، قال الطوسي:((المعنى لا تبدؤهم بقتل ولا قتال حتّى يبدؤكم، إلاّ أنّ القتل نقض بنيّة الحياة، والقتال محاولة القتل ممّن يحاول القتل)).[3] ، وهذا النصّ يشير بوضوح إلى الفرق بين دلالة الصيغة الواردة في الآية الكريمة، وكيفيّة توجيهها.

ويرى الطبرسي أنّ:((من قرأ بغير ألف إنّما اتبع رسم المصحف، لأنّه كتب في المصاحف بغير ألف، ومن قرأ بالألف، فقال: إنّما تحذف الألف في الخط كما في الرحمن)).[4]

وربّما يعترض على القول الثاني بأنّ الألف في الرحمن أسقطت خطّا وأثبتت لفظا والمعنى واحد، وليس كذلك الحال في الآية الكريمة، فإثباتها له معنى وطرحها له معنى كما بيّنا سابقا.

وقال أبو البقاء العكبري:((القراءة بالألف نهي عن مقدّمات القتل فيدلّ على النهي عن القتل من طريق أولى، وبدون الألف منع من نفس القتل)).[5]، وهذا التوجيه مبنيّ على اختلاف دلالة الصيغة ممّا يعطينا تصوّرا واضحا عن أهمّيّة الصيغة ومدى تأثيرها في السياق القرآني وما تعطيه من سعة في الدلالة.

ويرجّح الطبري القراءة بالألف، يقول:((وأولى هاتين القراءتين بالصواب قراءة من قرأ: "ولا تقاتلوهم" لأنّ الله تعالى ذكره لم يأمر نبيّه في حال إذا قاتلهم المشركون بالاستسلام لهم حتّى يقتلوا منهم قتيلا)).[6]

3- معاني القراءات:73،والنصّ القرآني في سورة المنافقين من الآية/.4
4- التبيان،الطوسي:145/2.

1- مجمع البيان،الطبرسي:29/2.
2- التبيان في إعراب القرآن،العكبري:84./1
3- جامع البيان،الطبري:263/2.

ويمكن أن يضاف إلى ما ذكره الطبري سبب آخر هو أنّ القراءة بالألف تدلّ على النهي عن القتال والقتل، أمّا القراءة بطرحها فهي نهي عن القتل فقط وليست عن القتال، والحقّ أنّ القتال والقتل منهيّ عنهما عند المسجد الحرام.

ومن سورة النساء يطالعنا قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.[1]

فقد اختلفت القراءة في قوله تعالى: " يُضَاعِفْهَا" في هذه السورة، وفي غيرها.[2]، حيث قرىء بالألف، وبدون ألف مع التشديد، والقراءة بالتشديد قراءة ابن كثير وابن عامر، أمّا الباقون فقرأوها بألف خفيفة.[3]، وهو موافق لرسم المصحف.

ولكلّ قراءة دلالتها، فقد جاء في جامع البيان:((وأمّا قوله "يُضَاعِفْهَا" فانّه جاء بالألف، ولم يقل"يضعّفها"، لأنّه أريد به في قول بعض أهل العربيّة يضاعفها أضعافا كثيرة، ولو أريد به في قوله يضعّف ذلك ضعفين لقيل: يضعّفها بالتشديد)).[4]

وهنا يتجلّى لنا أثر الصيغة وما تؤدّي إليه من اختلاف في الدلالة ويبرز دورها بوضوح وجلاء، فيضاعف أكثر دلالة من يضّعف بالتشديد التي تنحصر في ضعفين فقط. ومع توجيه الطبري للآية الكريمة وبيان معنى القراءتين فيها، نجد من يرى أنّ يضاعف ويضعّف بمعنى واحد وهما لغتان، وممّن ذهب إلى ذلك ابن أبي زرعة، قال في أثناء حديثه عن الآية:((وهما لغتان. يقال: أضعفت الشيء وضعّفته، كما يقال: كرّمته وأكرمته)).[5]، وهذا ما يراه الطبرسي بأنّ ضعّف وضاعف بمعنى واحد، مستندا إلى قول سيبويه:((يجيء فاعلت ولا يراد به عمل اثنين)).[6]، وكذلك قولهم: ناولته، وعاقبته، وعافاه الله، قال: ونحو ذلك: ضاعفت وضعّفت، وهذا يدلّ على أنّهما لغتان.[7]

1- سورة النساء،الآية/40.
2-والتي غيرها هي قوله تعالى:"فيضاعفه له"،البقرة/245، و"يضاعف"، البقرة/261، وهود/20، والأحزاب/30، والحديد/18،وكلّها قرئت بألف،وبدون ألف مع التشديد.
3- ينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد:233،والحجة في القراءات السبع،ابن خالويه:123،وحجة القراءات،ابن أبي زرعة: .203
4- جامع البيان،الطبري:5/.128
5- حجة القراءات،ابن أبي زرعة:.203
6- الكتاب،سيبويه:68/4.
7- ينظر:مجمع البيان،الطبرسي:3/.86

والحقّ أنّ بينهما فرق في الدلالة، وممّا يؤيّد ذلك قوله تعالى:﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1]، ولم يقل مثلين، ممّا يدلّ على مضاعفة أجر المؤمن أضعافا كثيرة.

وكذلك ما نقله ابن الجوزي في زاد المسير عن ابن قتيبة(ت276ه)، قال:((قال ابن قتيبة يضاعفها بالألف يعطي مثلها مرّات ويضعّفها بغير ألف يعطي مثلها مرّة))[2]، وربّما ترجّح القراءة بالألف كونها أكثر مدلولا على مراد الله تبارك وتعالى في مضاعفة أجر المؤمن، وهذا ما نطق به القرآن أوّلا وما استدلّ عليه علماء اللغة والمفسّرون ثانيا.

وممّا تتجلّى فيه دلالة الصيغة من آيات الكتاب العزيز قوله تعالى:﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾.[3]

فقد قرىء قوله: " يَتَفَطَّرْنَ" بالتاء وتشديد الطاء، وبالنون والتخفيف، وعلى ذلك تكون في الآية ثلاث قراءات:

الأولى: بالياء وتشديد الطاء " يَتَفَطَّرْنَ"، وبها قرأ عاصم، ونافع، وابن كثير، والكسائي، وحفص، وهي رسم المصحف.

الثانية: بالتاء وتشديد الطاء " تتَفَطَّرْنَ"، وهي قراءة ابن كثير، ونافع، والكسائي كذلك.

الثالثة: بالنون والتخفيف "ينفطرن"، وهي قراءة أبي عمرو، وابن عامر وحمزة.[4]

ومن الطبيعي أن تختلف دلالة الآية الكريمة تبعا لاختلاف القراءة الواردة فيها ومن المؤكّد أنّ لكلّ قراءة حجّتها، قال ابن خالويه:((الحجّة لمن قرأه بالتخفيف أنّه مأخوذ من قوله:" إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ". ودليله قوله:" السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا". والحجّة لمن قرأه بالتشديد أنّه أخذه من تفطّرت السماء تتفطّر، وهما لغتان فصيحتان معناهما التشقّق)).[5]

ومن ذهب إلى كون التفطّر والانفطار بمعنى واحد البغوي قال:((ومعناهما واحد، يقال: انفطر الشيء وتفطّر أي تشقّق)).[6]

1- سورة الأنعام،الآية/160.

2- زاد المسير،ابن الجوزي:126/2،وينظر:الجامع لأحكام القرآن،القرطبي:195./5

3- سورة مريم،الآية/.90

4- ينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد:413،والحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:239،وحجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.449

1- الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:239،والآيتان،الأولى سورة الانفطار،الآية/1،والثانية،سورة المزّمّل،الآية/.18

2- معالم التنزيل،البغوي:209./3

ولكن في الآية وجه آخر غير ما زعم أنّه مطابقة فدلالة تفطّر غير دلالة انفطر وهذا ما أسّس عليه القرّاء والمفسّرون بحثهم الآية الكريمة، فانفطر من فطر، وتفطّر من فطّر، قال ابن أبي زرعة:((إنّ ينفطرن إنّما هو من فطرت فانفطرت مثل كسرت فانكسرت، ويتفطّرن من قولك فطّرت فتفطّرت مثل كسّرت فتكسّرت، فهذا لا يكون إلاّ للتكثير، فقوله:"يتفطّرن" أشدّ مبالغة في تغيّظهن على من نسب إلى الله ولدا)).[1]

وبناءً على هذا فـ"يتفطّرن" أبلغ من "ينفطرن"، وثمّة فرق آخر هو أنّ التفطّر يحصل بفعل فاعل خارجي، أمّا الانفطار فهو ذاتي تقول: انكسر الزجاج وانسكب الماء، فالفاعل فيهما ذاتي.[2] ، أمّا صيغة تفطّر فهي لا تعطي هذا المدلول.

وممّن ذهب إلى أنّ "يتفطّرن" معناه التكثير، الزمخشري في الكشاف قال:((وقرىء: ينفطرن من الانفطار من فطره إذا شقّه، والتفطّر من فطّره إذا شقّقه و كرّر الفعل فيه)).[3]

ومعنى يتفطّرن على هذا يتشقّقن مرة بعد أخرى، قال القرطبي:((وقال ابن عبّاس:تكاد السماوات يتفطّرن، أن تكاد كلّ واحدة تنفطر فوق التي تليها من قول المشركين، اتّخذ الله ولدا، وقيل: يتفطّرن، يتشقّقن من عظمة الله وجلالته)).[4]

ويتفطّرن أبلغ لأنّ التفعّل مطاوع فعّل، وأصل التفعّل التكلّف، والمعنى أن هول هذه الكلمة لو تصوّرت بصورة محسوسة لم تتحمّلها هذه الأجرام ولتفتّتت من شدّتها أو أنّ فظاعتها مجلبة لغضب الله.[5]

ومن هنا ندرك أثر الصيغة الصرفيّة في توجيه معنى الآية، وكيف أنّها استوقفت القرّاء والمفسّرين واللغويين بحيث أدلى كل منهم بدلوه ليوجّه معنى الآية. والظاهر أنّ التفطّر أبلغ من الانفطار في الآية لكونه دال على الكثرة أوّلا، ولكون الانفطار يحصل ذاتيّا، والتفطّر هنا حاصل بفعل فاعل خارجي هو قول المشركين" اتّخذ الله ولدا ".

ويشير الآلوسي إلى أنّ التفطّر في الآية هو التشقّق مطلقا، وليس التشقّق طولا كما هو عند الراغب الأصفهاني.[6]

ويرى الآلوسي أنّ الفطر من عوارض الجسم الصلب فانّه يقال إناء مفطور ولا يقال ثوب مفطور بل هو مشقوق، وبناءً على هذا يذهب إلى أنّ السماء أصلب من الأرض. وممّا تنبغي الإشارة إليه: بم يتعلّق التكثير في صيغة "التفعّل" بالفعل أم بمتعلّقه الذي هو السماوات ؟

3- حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:449.
4- ينظر:معاني النحو،فاضل السامرّائي:504/2،وتحقيقات نحويّة،فاضل السامرّائي:.14
5- الكشاف،الزمخشري:3/.24
1- الجامع لأحكام القرآن،القرطبي:4/16،وينظر:تفسير القرآن العظيم،ابن كثير:3/.140
2- ينظر:تفسير البيضاوي:4/.35
3- ينظر: روح المعاني، الآلوسي:139/16،و مفردات غريب القرآن،الراغب الأصفهاني:.382

والجواب: قيل بالفعل لأنّه أوفق بالمقام، وقيل في متعلّقه، ورجّحه بأنّه قد قرىء: ينفطرن مضارع انفطر، وتوافق القراءتين يقتضي ذلك وبأنّه قد اختير الانفعال في تنشقّ الأرض حيث لا كثرة في المفعول. وهناك توجيه آخر لاختلاف الصيغة بين السماء والأرض، بأنّ التكثير في الفعل مع السماوات لكونها مقدّسة لم يعص الله فيها أصلا نوعا من العصيان، ولم يكن لها إلف بالمعصية، ولا كذلك الأرض، فهي تتأثّر من عظمة المعصية ما لا تتأثّر به الأرض.[1]

وبذلك نرى كيف أثّرت لفظة واحدة في سياق الآية الكريمة، وندرك أثر البحث الصرفي في ظلال القرآن الكريم. وكيف أنّ القرآن يراعي الجانب الدلالي بدقّة متناهية من خلال استعماله الألفاظ في مواقعها المناسبة.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء:﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.[2]

وقبل الإشارة إلى صيغة "يستفعلون" ودلالتها في الآية الكريمة أودّ عرض معنى " يستحسرون" ، وما قاله علماء اللغة والمفسّرون في ذلك، قال ابن الجوزي: في قوله "لا يستحسرون". ثلاثة أقوال:

أولها: لا يرجعون، وهو مروي عن ابن عبّاس.

ثانيها: لا ينقطعون، عن مجاهد.

ثالثها: لا يملّون، عن ابن زيد.[3]

وقال القرطبي:((يستحسرون، يعيون مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع بالإعياء، يقال حسر البعير يحسر حسورا أعيى وكلّ واستحسر وتحسّر مثله)).[4]

والمهم هنا أن ندرك لم استعمل القرآن هذه الصيغة "لا يستحسرون" وما دورها في توجيه معنى الآية الكريمة. ولم جيء بالاستحسار وهو مبالغة في الحسور، وربّما قيل و الأبلغ أن ينفي عنهم أدنى الحسور؟

ويطالعنا في الإشارة إلى ذلك الزمخشري، يقول في الكشّاف:((في الاستحسار بيان إنّ ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه. وإنّهم احقّاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون، أي تسبيحهم متّصل دائم في جميع أوقاتهم، لا يتخلّله فترة بفراغ أو شغل آخر)).[5]

1- ينظر:روح المعاني،الآلوسي:139/16.

2- سورة الأنبياء،الآية/19.

3- ينظر:زاد المسير،ابن الجوزي:344/5،والدرّ المنثور،السيوطي:621/5.

4- الجامع لأحكام القرآن،القرطبي:277/11،وينظر:التبيان في تفسير غريب القرآن،أحمد بن محمّد الهائم المصري:294/1.

1- الكشاف،الزمخشري:108/3.

ولهذا السبب جيء بصيغة الاستحسار لينبّه على ثقل عبادتهم، وهذا تكريم لهم أفادته الصيغة الصرفيّة، وليس غضّا منهم.

وقال البيضاوي:((وإنّما جيء "بالاستحسار" الذي هو أبلغ من الحسور، تنبيها على أنّ عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها و"لا يستحسرون"))[1]، فمع عظم عبادتهم لا يعيون عنها ولا يستحسرون. والنفي الوارد في الفعل لإفادة كثرة الاستحسار لا لإفادة نفي المبالغة فيه، قال أبو السعود:((لا يستحسرون لا لإفادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت أصله في الجملة، كما أنّ نفي الظلاميّة في قوله:"وما ربّك بظلاّم للعبيد". لإفادة كثرة الظلم المفروض تعلّقه بالعبيد لا لإفادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت أصله في الجملة))[2].

وبذلك نرى كيف وظّف التعبير القرآني هذه الصيغة الصرفيّة توظيفا دقيقا مؤدّيا أدقّ معنى وأبلغه، قال الآلوسي:((والظاهر أنّ الاستحسار حيث لا طلب، كما هنا أبلغ من الحسور فانّ زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى))[3].

ومن ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[4]، فقد قرىء "يدفع" بغير ألف، وهي قراءة ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، من دفع يدفع دفعا، وحجّتهما أنّ الله عزّ وجلّ لا يدافعه شيء وهو يدفع عن الناس فالفعل له وحده. وقرأ الباقون "يدافع" بالألف، وهو رسم المصحف وحجّتهم أنّه يدافع عنهم مرّات متواليات.[5]

وما نبتغيه هنا من اختلاف القراءة هو المعنى المستفاد من القراءتين، قال الزمخشري:((من قرأ "يدافع" فمعناه يبالغ في الدفع عنهم، كما يبالغ من يغالب فيه لأنّ فعل المغالب يجيء أقوى وأغلب))[6].

وصيغة المفاعلة تأتي للمبالغة وكأنّ الله يبالغ في الدفع عنهم أو للدلالة على تكرّر الفعل، وبذلك تتجرّد من وقوع الفعل المتكرّر من الجانبين، قال الشوكاني:((وقد ترد هذه

2- أنوار التنزيل، البيضاوي:87/4.
3- إرشاد العقل السليم،أبو السعود:60./6
4- روح المعاني، الآلوسي:21/17.

1- سورة الحج،الآية/.38
2- ينظر:حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:478،ومعاني القراءات،الأزهري:317.
3- الكشّاف، الزمخشري:159/3،وينظر:أنوار التنزيل،البيضاوي:128/4،وتفسير النسفي:105/3.
4- فتح القدير:456./3
5- معاني القراءات:317.

الصيغة ولا يراد بها معناها الأصلي كثيرا)).[1]، وعلى ذلك نجد لصيغة "يدافع" ثلاثة معاني:
الأوّل: المشاركة وقد بيّنّا سابقا أن المشاركة منفيّة في الآية.
الثاني: مجيء هذه الصيغة وإرادة معنى الواحد منها. قال الأزهري:((وقد جاءت حروف "فاعل" للواحد منها: قاتله الله بمعنى: قتله، وعافاه، وعاهدت الله)).[2]، ومعنى الصيغة بناءً على هذا الدفع لمرّة واحدة عن المؤمنين.

الثالث: إرادة المبالغة أو الدلالة على تكرّر الفعل، وهو المراد في الآية الكريمة، وهو ما تبنّاه أكثر المفسّرين، قال أبو السعود:((وصيغة المفاعلة إمّا للمبالغة أو للدلالة على تكرّر الدفع، فإنّها قد تتجرّد عن وقوع الفعل المتكرّر من الجانبين فيبقى تكرّره كما في الممارسة أي يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم مبالغة من يغالب فيه أو يدفعها عنهم مرّة بعد أخرى حسبما تجدّد منهم القصد إلى الإضرار بالمسلمين)).[3]

هذه النصوص اللغويّة غيض من فيض للاستعمال القرآني لصيغة المضارع، وهي كاشفة عن أهمّية الصيغة اللغويّة في التعبير القرآني، ومراعاة القرآن الجانب الدلالي للصيغ، وهي تبرز دور الصيغة في أداء المعنى.

1- إرشاد العقل السليم،أبو السعود:108/6،وينظر:روح المعاني،الآلوسي:161/17.

دلالة صيغة البناء للفاعل والمفعول :

الفعل المبني للفاعل "المعلوم" هو ما صرّح بلفظ فاعله في الجملة،وخلافه المبني للمفعول "المجهول" وهو ما لم يصرّح بلفظ فاعله في الجملة، وإنّما يحذف ويقام مقامه المفعول به أو الجار والمجرور أو الظرف.

ولحذف الفاعل وإقامة غيره مقامه أسبابه التي ذكرها النحاة في مظانّها من كتب النحو.[1] ، وليس هنا مجال الحديث عنها.

وممّا لا شكّ فيه أنّ لكلّ صيغة من هاتين الصيغتين دلالتها الخاصة التي لا تؤدّى بصيغة أخرى غيرها، فهناك كلام لا يمكن التعبير عنه إلاّ بصيغة المبني للمعلوم،وآخر يتطلّب صيغة المبني للمفعول، فلكلّ صيغة استقلاليّتها الدلاليّة التي لا تقوم مقامها صيغة أخرى.

وتتجلّى دلالة هاتين الصيغتين في كثير من آيات القرآن المباركات والتي سنتعرّف على أهمّيّتها ودورها في التعبير القرآني،في هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

ونبدأ من سورة البقرة حيث يطالعنا قوله تعالى:﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[2]، فقد قرىء "يخافا" بالبناء للفاعل، وهي موافقة لرسم المصحف تماما، و"يخافا"

1- ينظر: المقرّب، ابن عصفور:86، وشرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك: 499/1، وشرح قطر الندى، ابن هشام الأنصاري: 211، وحاشية الصبان، محمد بن علي الصبّان:61/2، وهمع الهوامع، السيوطي:162/1،161، ومعاني النحو، فاضل السامرّائي:492/2.

1- سورة البقرة،الآية/.229

بالبناء للمفعول، وهي قراءة حمزة ويعقوب وأبو جعفر.[1]، والحجّة لمن فتح الياء أنّه جعل الفعل لها وسمّى الفاعل، أمّا من ضمّ فجعله فعل ما لم يسمّ فاعله.[2]

والمعنى على قراءة البناء للفاعل، إلاّ أن يخاف الزوجان ألاّ يقيما حدود الله والخوف هنا بمعنى الظن وهذه القراءة اختيار الفرّاء والأزهري، وعليها أكثر القرّاء.[3] ، وقال الزمخشري في توجيهها:((إلاّ أن يخاف الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من واجب الزوجيّة)).[4]، وبذلك تكون القراءة موجّهة إلى الزوجين، فهما الفاعل حسب هذه القراءة. أمّا القراءة بالبناء للمفعول فهي موجّهة إلى غيرهما وممّا يؤيّدها قوله:" فَإِنْ خِفْتُمْ" فجعل الخوف لغيرهما ولم يقل "فان خافا".[5]، وهنا يرد سؤال هو لم قال:" فَإِنْ خِفْتُمْ" ولم يقل :"فان خيفا" على القراءة بضمّ الياء، أو"فان خافا" على القراءة بفتحها ؟ فيه وجهان هما:

الأوّل: أن يكون الصرف من الغيبة إلى الخطاب كما قال الله تعالى"الحمد لله" ثمّ قال "إيّاك نعبد". والثاني: أن يكون الخطاب في قوله "فان خفتم" مصروفا إلى الولاة والفقهاء الذين يقومون بالأمور كافة.[6]

وبذلك تكون الثمرة في اختلاف القراءة إفادة معنى جديد في الآية الكريمة هو نسبة الخوف لغير الزوجين وهو المعنى الذي أفادته القراءة بالفتح.

ومن سورة البقرة ننتقل إلى سورة آل عمران فنجد قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.[7]، ممّا قرىء بالبناء للفاعل والمفعول، قال ابن مجاهد:((واختلفوا في فتح الياء وضمّ الغين، وضمّ الياء وفتح الغين من قوله تعالى" يَغُلَّ "، فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم" أَنْ يَغُلَّ" بفتح الياء وضمّ الغين، وهو رسم المصحف، وقرأ الباقون "يغلّ" بضمّ الياء وفتح الغين)).[8]

ومن الطبيعي أن يؤدّي اختلاف القراءة إلى اختلاف الدلالة، فمن قرأ بفتح الياء وضمّ الغين" يَغُلَّ " أراد: ما كان لنبيّ أن يخون أمّته والغلول هنا بمعنى الخيانة. وذلك بأخذ شيء من الغنيمة. ومن قرأ بضمّ الياء وفتح الغين " يغلّ " ففيه وجهان:

الأوّل: ما كان لنبيّ أن يغلّه أصحابه، أي: يخونوه.

2- ينظر:معاني القراءات،الأزهري:76،وحجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.135
3- ينظر:الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:.97
4- ينظر:معاني القرآن،الفرّاء: ومعاني القراءات،الأزهري:.76
5- الكشّاف،الزمخشري:1/.275
6- ينظر:القراءات المتواترة،محمّد الحبش:74.
7- ينظر:فقه القرآن،قطب الدين الراوندي:195/2.
1- سورة آل عمران،الآية/161.
2- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:218.

الثاني: أن يكون بمعنى"يخوّن". ومعناه ما كان لنبيّ أن يخوّن، أي: تنسب إليه الخيانة، لأنّ نبيّ الله لا يخون إذ هو أمين الله في أرضه.[1]

وهناك معنى آخر ذكره الشيخ الطوسي، قال:((ويحتمل أن يكون أراد ما كان لنبيّ أن يخان بمعنى يسرق منه ويكون تخصيص النبي بذلك تعظيما للذنب)).[2]

ولو قيل: لم خصّ النبي "صلى الله عليه وآله" بالغلول والنهي عنه والثابت أنّه لا يمكن أن يكون غالا بأيّ وجه من الوجوه، والقرآن يشهد له بذلك، قال تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[3]

وعمّا يصدر عنه يقول:﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.[4]، فكيف تناسب بين هذه الآية وهذه الآيات ؟ والجواب عن السؤال كما يراه الزمخشري على وجهين:

الأوّل: هو تبرئة للرسول"صلى الله عليه وآله" وتنزيه وتنبيه على عصمته.

الثاني: هو مبالغة في النهي لرسول الله "صلى الله عليه وآله" على ما روي: أنّه بعث بطلائع فغنمت غنائم فقسّمها ولم يقسّم للطلائع، فنزلت. يعني: وما كان لنبيّ أن يعطي قوما ويمنع آخرين، بل عليه أن يقسّم بالتسويّة. وسمّي حرمان بعض الغزاة غلولا تقبيحا وتغليظا لصورة الأمر.[5]، وتعقيبا على كلام الزمخشري أقول:

_ إنّ الوجه الأوّل دقيق وصحيح ، ولكنّ الوجه الثاني على خلافه، ولا أدري كيف جمع الزمخشري بين تنزيه الرسول "صلى الله عليه وآله" وما يوحي بعدم عدالته في موضع واحد.

_ كيف تصوّر الزمخشري عدم عدالة الرسول "صلى الله عليه وآله" حتّى يورد هذه الرواية تأييدا لما ذكره في الوجه الثاني.

وما أراه مناسباً إبعاد هذا التوجيه المنسوب إلى الرسول الكريم "صلى الله عليه وآله" وعدم قبوله مطلقا، وحمل القراءة بفتح الياء وضمّ الغين على التنزيه للأنبياء، والدلالة على عصمتهم أولى وأجدر. أمّا القراءة بضمّ الياء وفتح الغين فقد ذكرت معانيها ولا داعي لإعادة ذكرها هنا، وقد لاحظنا أثر البناء للفاعل والمفعول في تحويل معاني الآية الكريمة من وجه إلى آخر على وفق ما يعطيه من زخم دلاليّ ناجم عن السعة الدلاليّة التي تولّدت عن تعدّد وجوه القراءات للفعل المضارع بتغيّر صيغته الصرفيّة بسبب الاختلاف في حركات بنيته.

3- ينظر:معاني القراءات،الأزهري:112،والحجّة في القراءات السبع،أبن خالويه:116،والتبيان في إعراب القرآن،العكبري:156/1.

4- التبيان،الطوسي:34/3،وينظر:مجمع البيان،الطبرسي:430/2.

5- سورة القلم،الآية/4.

1- سورة النجم،الآيتان/.3،4

2- الكشّاف،الزمخشري:433/1.

ومن آل عمران ننتقل إلى سورة الأنعام حيث يطالعنا فيها قوله تعالى:﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[1]، فقد قرىء ببناء الأوّل للمفعول والثاني للفاعل، فتكون القراءة:"يطعم ولا يطعم" وقرىء ببنائهما للفاعل، أي: "يطعم ولا يطعم"، وقرىء بفتح الياء في الثانية.[2]

ومن الطبيعي اختلاف دلالة الآية تبعا لاختلاف القراءات الواردة فيها، فالقراءة الأولى موجّهة إلى الولي والضمير فيها لغير الله سبحانه تعالى، والمعنى كيف أتّخذ وليّا غير الله وصفة هذا الولي أنّه يطعم ولا يطعم أنّى له أن يكون وليّا وهو محتاج إلى غيره، أمّا الله تعالى فهو الغنيّ الحميد.

أمّا القراءة بالبناء للفاعل في الفعلين،فالمعنى فيها، أنّ الله سبحانه وتعالى يطعم عباده ويرزقهم والولي لا يطعم نفسه ولا من يتّخذه. ويجوز أن يكون المعنى: يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح،كقولك هو يعطي ويمنع، ويبسط ويقدر، ويغني ويفقر. وقيل المعنى: هو يطعم ولا يستطعم، وحكى الأزهري: أطعمت بمعنى استطعمت، ونحوه أفدت ويكون الثاني من أطعم بمعنى استطعم.[3]

أمّا القراءة بفتح الياء فالمعنى فيها أنّه يرزق ويطعم ولا يأكل، قال ابن الجوزي: ((وقرأ عكرمة والأعمش "ولا يطعم" بفتح الياء، قال الزجّاج: وهذا الاختيار عند البصراء بالعربيّة، ومعناه وهو يرزق عباده ويطعم ولا يأكل)).[4]

وبذلك يتّضح أنّ القراءة ببناء الأوّل للمفعول موجّهة إلى الولي المتّخذ من دون الله، ولا يمكن حملها على الله تبارك وتعالى. أمّا قراءة البناء للفاعل فهي موجّهة له سبحانه، وهي تبيّن صفتين من صفاته هما كونه هو الرازق للناس جميعا وهو الذي لا يرزق.

وهذه المعاني الجليلة التي نراها من مقاصد الآية الكريمة لم نحصل عليها لولا ورود القراءة بهذه الصيغة الصرفيّة، وهذا سرّ من أسرار اللغة ومدى تمكّنها من التعبير في تأديّة المعاني وتلك هي لغة القرآن الكريم المعجز. وبقي شيء أودّ الإشارة إليه هو لم قال "يطعم ولا يطعم" فعبّر بلفظ الطعام ولم يعبّر بسواه ؟ قال البيضاوي:((تخصيص الطعام لشدّة الحاجة إليه)).[5]

1- سورة الأنعام،الآية/14.

2- ينظر:الكشّاف،الزمخشري:10/2،وزاد المسير،ابن الجوزي:11/3،والجامع لأحكام القرآن،القرطبي:6/.397

3- ينظر:الكشّاف،الزمخشري:10/2، والجامع لأحكام القرآن،القرطبي:397/6،وأنوار التنزيل،البيضاوي:397/2،وروح المعاني،الآلوسي:7/.110

4- زاد المسير،ابن الجوزي:3/.11

1- أنوار التنزيل، البيضاوي:397/2.

ومن الأنعام أيضا قوله تعالى:﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾.[1]، ممّا قرىء بالوجهين، قال ابن مجاهد:((اختلفوا في فتح الياء وضمّها من قوله " مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ "، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر" يصرف عنه" مضمومة الياء مفتوحة الراء، وقرأ حمزة والكسائي "من يصرف" مفتوحة الياء مكسورة الراء)).[2]

وهما قراءتان كما ترى، ولكلّ قراءة معناها، قال الأزهري:((من قرأ "يصرف" فهو على أنّه مفعول لم يسمّ فاعله، ومن قرأ "يصرف" فالفعل لله والمعنى من يصرف الله عنه الهلاك والعذاب)).[3]

وقال القرطبي:((قرأ الكوفيّون: "يصرف" بفتح الياء وكسر الراء، وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد، لقوله:﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾. ولقوله:﴿ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾. ولم يقل رحم على المجهول، ولقراءة أبي: "من يصرف الله عنه". واختار سيبويه القراءة الأولى، قراءة أهل المدينة وأبي عمرو، قال سيبويه:" وكلّما قلّ الإضمار في الكلام كان الأولى". فأمّا قراءة من قرأ يصرف بفتح الياء: فتقديره: من يصرف الله عنه العذاب. وإذا قرىء: من يصرف عنه، فتقديره: من يصرف عنه العذاب)).[4]

ومن النصّين ندرك أثر صيغة البناء للفاعل والمفعول في توجيه المعنى، فالقراءة بالبناء للفاعل تنسب صرف السوء إلى الله تعالى، أمّا القراءة بالبناء للمفعول فلا يختصّ صرف السوء فيها بالله فقط بل قد يكون هناك صارف آخر للسوء غيره تعالى.

والقراءة بالبناء للفاعل مرجّحة عند الطبري، قال:((وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ "يصرف عنه" بفتح الياء وكسر الراء، لدلالة قوله:﴿ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾. على صحّة ذلك، وانّ القراءة فيه بتسمية فاعله)).[5]، وما أظنّه هنا أنّ لكلّ قراءة ما يقوّيها، ولها وجهها الصحيح، فالقراءة بالبناء للمفعول صحيحة من جهة أن الإنسان يصرف عنه سوء ذلك اليوم بما قدّمه في دنياه من الامتثال لأوامر الله، واجتناب محارمه، وقد يدخل في ذلك باب الشفاعة.

أمّا القراءة بالبناء للفاعل فوجهها أنّ الله تعالى هو الذي يصرف السوء في ذلك اليوم ولا أحد غيره يملك زمام الأمور، ولا يستطيع صرف السوء غيره. ولكنّه يصرف السوء عمّن يستحقّ فقط وذلك هو العدل الإلهي، وصيغة البناء للمفعول هنا تعطي دلالة التعظيم والوحدانيّة ولم يذكر الفاعل لدلالة صفاته عليه، فهو أعرف من أن يذكر.

2- سورة الأنعام،الآية/.16

3- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:254،وينظر:الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:.136

4- معاني القراءات،الأزهري:.149

5- الجامع لأحكام القرآن،القرطبي:398/6،والآيتان في سورة الأنعام،الأولى من الآية/12،والثانية من الآية/16.وأنظر نصّ سيبويه في الكتاب:

1- جامع البيان،الطبري:160/7،وينظر:زاد المسير،ابن الجوزي:12/3.

ومن سورة الفرقان نجد قوله تعالى:﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾.[1]

فقوله تعالى: "نتّخذ" قرئ بالبناء للفاعل والمفعول، قال الطبري:((واختلفت القراء في قراءة قوله " مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ " فقرأ ذلك عامّة قرّاء الأمصار: "نتّخذ" بفتح النون سوى الحسن ويزيد ابن القعقاع، فانّهما قرآه: "أن نتّخذ" بضمّ النون)).[2]

وما يهمّنا بيان دلالة الصيغتين، فالمراد على قراءة البناء للفاعل "نتّخذ" أنّهم قالوا: ما ينبغي لنا أن نتّخذ وليّا دونك ونحن نتبرّأ من ذلك إليك. فليس لهم وليّ غيره تعالى. أمّا قراءة البناء للمجهول "نتّخذ" فالمعنى فيها: إنّ المعبودين في الدنيا تبرّؤا إلى الله أن يعبدوا من دونه جلّ ثناؤه.[3]، كما أخبر القرآن عن عيسى"عليه السلام" في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[4]

ولكلّ من هذين المعنيين وجهه الصحيح، فالأوّل: إقرار بالتوحيد لله تبارك وتعالى ونفي الإشراك به فهو الولي الحقّ، وهو معنى لطيف ومطلوب من العباد. والثاني: كأنّ فيه اعتذار للمولى تبارك وتعالى ممّن اتّخذوا أولياء من دون الله، فيقولون سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نكون نحن الأولياء من دونك. والأولى الأخذ بكلا المعنيين في تفسير الآية الكريمة، إلاّ أنّ أبا عمرو بن العلاء يرفض القراءة بالبناء للمفعول، ويقرأ الآية بالبناء للفاعل، قائلا:((لو كان "نتّخذ" لحذف "من" الثانية، فقلت: أن نتّخذ من دونك أولياء)).[5]

والقراءة بالبناء للفاعل مرجّحة عند الطبري، لعلل ثلاث هي:

الأولى: إجماع القرّاء عليها.

الثانية: إن الله ذكر نظير هذه القصّة في سورة سبأ:﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾.[6]، فأخبر عن الملائكة إذا سئلوا عن عبادة من عبدهم تبرّؤا إلى الله من ولايتهم.

1- سورة الفرقان،الآية/18.

2- جامع البيان،الطبري:252/18،وينظر:مجمع البيان،الطبرسي:283/7.

3- ينظر:جامع البيان،الطبري:252./18

4- سورة المائدة،من الآية/116

5- أبو عمرو ابن العلاء جهوده في القراءة والنحو،زهير غازي زاهد:123.

1- سورة سبأ،الآيتان:.40،41

الثالثة: إنّ العرب لا تدخل "من" هذه التي في الجحد إلاّ في الأسماء، ولا تدخلها في الأخبار.[1]، والذي يعضّد من ذلك رفض أبي عمرو ابن العلاء هذه القراءة لهذا السبب نفسه، كما بيّنا قبل قليل. ومع هذا التوجيه الذي يراه الطبري في الآية الكريمة، وهذه العلل التي ذكرها لترجيح القراءة بالبناء للفاعل، هناك من يرى أنّ القراءة بصيغة البناء للمعلوم أوضح في سياق الآية الكريمة، يقول الدكتور محمّد الحبش:((وتبدو مثل قراءة أبي جعفر أوضح في السياق، إذ المطلوب هنا ليس تبرئة المعبودات من عبادة غير الله،بل المطلوب تنزيه المعبود سبحانه من وجود الشريك له)).[2]، والظاهر أنّ السياق في السورة يقوّي القراءة الثانية بالبناء للمجهول، وذلك لقوله تعالى في أوّل السورة:﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.[3]، وقال أيضا قبل آية الاستشهاد مباشرة:﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[4]، والسياق كما ترى يتحدّث عن المعبودين من دون الله، وهذا يرجّح قراءة البناء للمفعول.

دلالة اختلاف حروف المضارعة :

ومن الآيات القرآنيّة التي قرئت باختلاف أحرف المضارعة قوله تعالى في سورة آل عمران:﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.[5]

فقد اختلف في الياء والتاء من قوله تعالى: " يَفْعَلُوا، يُكْفَرُوهُ " فقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر بالتاء، وكان أبو عمرو لا يبالي كيف قرأهما بالياء أو بالتاء، وقرأهما حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بالياء فيهما.[6]، بالموافقة التامّة لرسم المصحف.

والقراءة بالياء الوجه فيها أنّها صفة للقوم الذين وصفهم الله قبل ذلك بأنّهم:"يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" والقراءة بالتاء: بمعنى، وما تفعلوا أنتم أيّها المخاطبون المؤمنون من خير فلن يكفركموه ربّكم.[7]

قال الطوسي:((ووجه القراءة بالياء أن يكون كناية عمّن تقدّم ذكره من أهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة، ووجه التاء أن يخلطهم بغيرهم من المكلّفين، ويكون خطابا للجميع في أنّ حكمهم واحد)).[8]

2- ينظر:جامع البيان،الطبري:18/.252،253
3- القراءات المتواترة،محمّد الحبش:.213
4- سورة الفرقان،من الآية/.3
5- سورة الفرقان،من الآية/17.
1- سورة آل عمران،الآية/.115
2- ينظر: السبعة في القراءات،ابن مجاهد:.215
3- ينظر:جامع البيان،الطبري:4/.57
4- التبيان،الشيخ الطوسي:566/2،وينظر:مجمع البيان،الطبرسي:2/.368

وبذلك تكون القراءة بالغيب خبر عن الأمة القائمة التي وصفها الله سبحانه وتعالى قبل هذه الآية ثمّ أخبر عنهم بأنّهم لن يجحدوا ما فعلوا من خير بل سيوفّيهم الله أجورهم ويجزيهم الجزاء الحسن. ومن قرأ بالتاء فانّه ردّها على قوله تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾.[1]، وما تفعلوا من خير فلن تكفروه أنتم أيّها المخاطبون بذلك فوجّه الخطاب إليهم.[2]

ويرجّح الطبري القراءة بالياء معلّلا ذلك بقوله:
((وإنّما اخترنا ذلك لأنّ ما قبل هذه الآية من الآيات خبر عنهم فإلحاق هذه الآية إذ كان لا دلالة فيها على الانصراف عن صفتهم بمعاني الآيات قبلها أولى من صرفها عن معاني ما قبلها)).[3]

ويرى الآلوسي أنّ في الخطاب لأولئك الموصوفين بالصفات المذكورة نكتة خاصّة حسب تعبيره هي: ((الإشارة إلى أنّهم لاتصافهم بهذه المزايا أهل لأن يخاطبوا)).[4]،فكأنّ القراءة بالتاء فيها رفع لشأنهم وإعلاء لمنزلتهم، وهكذا يتبيّن اختلاف حروف المضارعة وما فيه من إثراء النص القرآني المطلق وعدم تقييده.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.[5]

فهو ممّا قرىء بالتاء " لَتُبَيِّنُنَّهُ "،والياء " ليبيننّه "، والقراءة بالياء قراءة ابن كثير،وأبو عمرو،وعاصم في رواية أبي بكر في الفعلين، أمّا القراءة بالتاء فهي قراءة نافع،وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وكذلك حفص عن عاصم.[6] ،وهي موافقة لرسم المصحف.

والحجّة لمن قرأ بالياء قوله: " فَنَبَذُوهُ " ولو كان بالتاء لقال نبذتموه على خطابهم أيضا. وبه احتجّ أبو عمرو وقال:الكلام أتى عقيبه بلفظ الخبر وهو قوله " فنبذوه " فجعل ما قبله بلفظه ليأتلف الكلام على نظام واحد.والحجّة لمن قرأ بالتاء أنّه يحكي اللفظ الذي خوطبوا به ساعة أخذ الميثاق عليهم.[7]

5- سورة الأنعام،من الآية/110.
6- ينظر: جامع البيان،الطبري:56/4.

1- جامع البيان،الطبري:57./4
2- روح المعاني،الآلوسي:35/4.
3- سورة آل عمران،الآية/187.
4- ينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد:221،ومعاني القراءات،الأزهري:116.
5- ينظر:حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:186.

فان قال قائل: علام تعود الهاء في قوله: " لَتُبَيِّنُنَّهُ" ؟ قال القرطبي: ((الهاء في قوله " لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ" ترجع إلى محمّد(صلى الله عليه وآله وسلّم) وان لم يجر له ذكر،وقيل ترجع إلى الكتاب.ويدخل فيه بيان أمر النبي "ص" لأنّه في الكتاب)).[1] ، والى الثاني ذهب النسفي.[2]

وبذلك يتّضح أنّ القراءة بالتاء خطاب لمن أوتي الكتاب بأن يبيّنه ولا يكتمه، والقراءة بالياء خبر عن الغيب، ويرجّح الطبري القراءة بالياء مستدلاّ بقوله " فنبذوه" حتّى يكون الكلام كلّه منسّقا على معنى واحد ومثال واحد، ولو كان بالتاء لقيل فنبذتموه وراء ظهوركم.[3]

وربّ سائل يسأل أنّه أمر أوّلا بالبيان ثمّ نهى عن الكتمان،فما الوجه في ذلك ؟
قال الآلوسي: ((والنهي عن الكتمان بعد الأمر بالبيان للمبالغة في إيجاب المأمور به، كما ذهب إليه غير واحد، أو لأنّ المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوّته وبالكتمان المنهي عنه إلغاء التأويلات الزائفة)).[4]

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾.[5]

فقد قرىء قوله تعالى: " لِتَسْتَبِينَ" بالتاء مع رفع السبيل،وهي قراءة ابن كثير وحفص، وهي موافقة لرسم المصحف.وقراءة عاصم، والأعمش، وحمزة، والكسائي بالياء"ليستبين" مع رفع السبيل، فيذكّرون السبيل.[6]
وما يهمّنا هو ما يضفيه اختلاف قراءة أحرف المضارعة من تغيّر في دلالة الآية الكريمة، قال أبو منصور:((الاستبانة:أن تبيّن ويتبيّن، فمن قرأ "ولتستبين سبيل" فمعناه ولتبين والفعل للسبيل، وهي مؤنّثة كقوله تعالى:﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي﴾. ومن قرأ "وليستبين

1- الجامع لأحكام القرآن،القرطبي:305/4.
2- ينظر:تفسير النسفي:197/1.
3- ينظر:جامع البيان،الطبري:4/.204
4- روح المعاني،الآلوسي:149/4.
1- سورة الأنعام،الآية/.55
2- ينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد:258،والمذكّر والمؤنّث،ابن الأنباري:320،وإتحاف فضلاء البشر:.209

سبيل" بالياء فانّه ذكّر السبيل، قال تعالى:﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾.والسبيل والطريق يذكّران ويؤنّثان)).[1]

وهذه القراءة برفع سبيل وإسناد الفعل إليه، أمّا قراءة النصب "ولتستبين سبيل"، وهي قراءة نافع، فمعناها: لتستبين يا محمّد (صلى الله عليه وآله) سبيل المجرمين، وتبيّنته واستبنته بمعنى واحد.[2]

ومن هنا يتّضح أنّ القراءة برفع سبيل سواء أكانت بالياء أم التاء أسندت الفعل للسبيل، والمعنى ليستبين سبيل المجرمين ويظهر بغض النظر عن إبانته لأحد ما، أمّا القراءة بنصب السبيل فيفهم منها أنّ سبيل المجرمين بيّن بنفسه والمراد إبانته للناس، وممّا يعضّد هذا القول أنّه لا يعقل أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله) لا يستبين سبيل المجرمين فهذا ممّا هو معلوم وبيّن لديه.

قال أبن أبي زرعة: ((فان قال قائل: أفلم يكن النبي مستبينا سبيل المجرمين؟ فالجواب في هذا أنّ جميع ما يخاطب به المؤمنون يخاطب به النبي"صلى الله عليه وآله" فكأنّه قيل "ولتستبينوا سبيل المجرمين" أي لتزدادوا استبانة لها)).[3]

وممّا تنبغي الإشارة إليه هو ما معنى التاء عند من قرأ بها في القراءتين ؟ قال مكّي: ((والتاء في قراءة من قرأ بها علامة خطاب واستقبال عند من نصب "سبيل"، وعلامة تأنيث واستقبال عند من رفع السبيل)).[4]

وبذلك نحصل من اختلاف القراءة على تعدّد وجوه الدلالة على النحو الآتي:

1. استبانة سبيل المجرمين وكأنّ فيه غموضا، فأراد الله أن يزيل عنه هذا الغموض،بغضّ النظر عمّن يستبين إليه السبيل. وهذا ما دلّت عليه القراءة برفع السبيل.
2. استبانة سبيل المجرمين للرسول "ص"، وهذا محلّ إشكال لأنّ الرسول لا يخفى عليه سبيل المجرمين.
3. استبانة سبيل المجرمين للمسلمين، كما وجّهه ابن أبي زرعة مع كون الخطاب للنبي "ص" ولكنّ المراد به المسلمون، وخطاب الرسول والمراد به المسلمون كثير في القرآن.

هذه هي وجوه الدلالة المستفادة من اختلاف أحرف المضارعة في الآية الكريمة،أمّا لم خصّ سبيل المجرمين بالذكر ولم يقل سبيل المؤمنين؟ الجواب على ذلك أنّ سبيل المجرمين إذا بانت، بانت معها سبيل المؤمنين فلم يحتج إلى ذكرها.[1]

3- معاني القراءات،الأزهري:155،والآيتان،الأولى:سورة يوسف،من الآية/108،والثانية سورة الحجر،الآية/.76

4- ينظر:معاني القراءات،الأزهري:155،والحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:141،والتبيان في إعراب القرآن، العكبري :1/.244

1- حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.253

2- مشكل إعراب القرآن،مكّي بن أبي طالب القيسي:254/1.

ومن سورة الأنبياء يطالعنا قوله تعالى:﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾.[2]

ممّا قرىء بالتاء والياء والنون، في قوله: "لِتُحْصِنَكُمْ" قال ابن مجاهد:((قرأ ابن كثير،ونافع، وأبو عمرو،وحمزة، والكسائي "ليحصنكم" بالياء، وقرأ ابن عامر،وحفص عن عامر"لِتُحْصِنَكُمْ" بالتاء، وقرأ أبو بكر عن عاصم "لنحصنكم" بالنون)).[3] ، والقراءة بالتاء موافقة لرسم المصحف.

وهي ثلاث قراءات كما ترى ومن الطبيعي أن يكون لكلّ قراءة وجهها الدلالي وحجّتها اللغويّة، فالحجّة لمن قرأ بالتاء أنّه ردّه على الصنعة واللبوس، لأنّ المراد باللبوس الدرع وهي مؤنّثة، فيكون المعنى على هذا: علّمناه صنعة اللبوس لتحصنكم الصنعة، أو لتحصنكم اللبوس حملا على معنى اللبوس، وهو الدرع.

أمّا من قرأ بالياء فردّه على لفظ اللبوس لا على معناه فذكّر لتذكير اللبوس، واحتجّ من قرأ بالنون أنّه أخبر به عن الله عزّ وجل لأنّه هو المحصن لا الدرع.[4] ، وممّا يحتجّ به للقراءة بالنون قوله تعالى: " وَعَلَّمْنَاهُ"، أي علّمناه لنحصنكم.[5]

وبناءً على هذه القراءات وحججها نستشفّ دلالتها، فمعنى القراءة بالتاء، لتحصنكم الصنعة أو اللبوس حملا على المعنى، فالمحصن هنا هو اللبوس أو الصنعة، ومعنى القراءة بالنون أنّها خبر عن الله تعالى يعضّدها قوله: "وَعَلَّمْنَاهُ"، أي نحن علّمناه صنعة لبوس لنحصنكم فالمحصن هو الله تعالى.

أمّا القراءة بالياء ففيها أربعة أوجه كما يراها ابن الجوزي في زاد المسير،قال: ((من قرأ بالياء ففيه أربعة أوجه،قال أبو عليّ الفارسي:أن يكون الفاعل اسم الله لتقدّم معناه،ويجوز أن يكون اللباس لأنّ اللبوس بمعنى اللباس من حيث كان ضربا منه،ويجوز أن يكون داود "عليه السلام" ويجوز أن يكون التعليم وقد دلّ عليه "عَلَّمْنَاهُ")).[6]

وجميع هذه المعاني النابعة من دلالة الفعل المضارع بوجوه استعماله التي وردت في القراءات مقبولة في الآية صحيحة يمكن الأخذ بها في تفسير الآية الكريمة،إلاّ إنّ الطبري

3- ينظر:حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:253،وفتح القدير،الشوكاني:2/.120
1- سورة الأنبياء،الآية/.80
2- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:430،وينظر:حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.469
3- ينظر:الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:250،ومعاني القراءات،الأزهري:.308،309
4- ينظر:الجامع لأحكام القرآن،القرطبي:321/11.
1- زاد المسير،ابن الجوزي:5/.373

رجّح القراءة بالياء،قال:((وأولى هذه القراءات عندي بالصواب قراءة من قرأه بالياء،لأنّها القراءة التي عليها الحجّة من قرّاء الأمصار،وان كانت القراءات الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني،وذلك أنّ الصنعة هي اللبوس،واللبوس هو الصنعة،والله هو المحصن به من البأس)).[1]

وسبب ترجيح هذه القراءة كما يتّضح من النص هو أنّ هذه القراءة عليها الحجّة من القرّاء، والذي يبدو لي أنّ هناك سبب آخر هو أنّ القراءة بالياء تحتمل جميع المعاني التي تؤدّيها القراءات الأخرى، فالأحرى أن تكون مرجّحة عليها.

ومن السورة نفسها يطالعنا قوله تعالى:﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.[2]

ممّا قرئ بالنون والياء، فقد قرأ يعقوب: "يقدر" بالياء مضمومة والدال مفتوحة،وقرأ الباقون: "نقدر" بالنون مفتوحة والدال مكسورة.[3] ، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف.

والقراءة بالنون لها معنيان هما:

المعنى الأوّل: من التقدير، فيكون المراد، ظنّ يونس أن لن نقدّر ما قدّرنا عليه من التقام الحوت إيّاه، فتكون "قدر" هنا بمعنى "قدّر".يقال: قدر وقدّر بمعنى واحد. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾.[4]

ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:[5]

ولا عائدا ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يكن ولك الشكر.

والمراد ما تقدّر.

والمعنى الثاني: من التضييق، فيكون المراد: ظنّ أن لن نضيّق عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾.[6]، أي يضيّق.

2- جامع البيان،الطبري:55/17.

1- سورة الأنبياء،الآية/.87

2- ينظر:معاني القراءات،الأزهري:309،التبيان،الشيخ الطوسي:272./7

3- سورة المرسلات،الآية/.23

4- ديوان الهذليين:112/1.

5- سورة الرعد،من الآية/.26

أمّا كون "نقدر" من القدرة فهذا ممّا لا يجوز لأنّه غير جائز في صفة نبيّ الله أن يظنّ هذا الظن.[1] ، وهذا الوجه قبله الزمخشري ووجّهه توجيها مفاده: أن لن نعمل فيه قدرتنا،وهو من باب التمثيل،بمعنى فكانت حاله ممثّلة بحال من ظنّ أن لن نقدر عليه في مراغمة قومه من غير انتظار لأمر الله.[2]، أمّا القراءة بالياء فجائزة أن تفسّر بالمعنيين المذكورين سابقا، ولكنّ المختار هو القراءة بالنون، ويرى الطبرسي أنّ المعنيين في القراءتين متقاربان.[3]

وهناك من قال: انّه استفهام معناه التوبيخ، وتقديره: أفظنّ أن لن نقدر عليه. وأنكره علي بن عيسى لعدم جواز حذف الاستفهام من غير دليل، وهو وارد في كلام العرب على خلاف ما قاله، كقول عمرو بن أبي ربيعة:

ثمّ قالوا:تحبّها؟ قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب.[4]

والمعنى:أتحبها ؟ وهذا الوجه يدلّ على أنّه من القدرة، تقديره: ما ظنّ عجزنا فأين يهرب منّا.[5]

ومن ذلك قوله تعالى في سورة يس:﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.[6]، فقد قرىء قوله تعالى: " لِيُنْذِرَ" بالياء، وهي قراءة عاصم، وابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهي موافقة لرسم المصحف، وبالتاء "لتنذر"، وهي قراءة نافع، وابن عامر.[7]

وهما قراءتان كما ترى ولكلّ قراءة منهما حجّتها، فحجّة من قرأ بالياء قوله تعالى قبل ذلك:﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾.[8]،والحجّة لمن قرأه بالتاء أنّه جعله عليه السلام مخاطبا.[9]

وما نبتغيه هو بيان الفرق بين القراءتين في الدلالة، قال أبو منصور: ((من قرأ بالتاء فالخطاب للنبي"ص". ومن قرأ بالياء ففيه وجهان،أحدها: لينذر النبي"ص" من كان حيّا، أي من كان يعقل ما يخاطب به، وجائز أن يكون الإنذار للقرآن والله أعلم)).[10]

ويتّضح من النص أنّ القراءة بالتاء تدلّ على كون المنذر في هذا المقام هو الرسول(صلى الله عليه وآله) لا غير،وممّا يؤيّدها قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾.[11]

6- ينظر:معاني القراءات،الأزهري:309،ومجمع البيان،الطبري:108/7،وزاد المسير،ابن الجوزي:264/5.

7- ينظر:الكشّاف،الزمخشري:131/3،132.

1- ينظر:معاني القراءات،الأزهري:309،والتبيان،الطوسي:272/7.

2- ديوان عمرو:256.

3- ينظر:مجمع البيان،الطبرسي:108/7،وزاد المسير،ابن الجوزي:264/5.

4- سورة يس،الآية/70.

5- ينظر: السبعة في القراءات،ابن مجاهد:544،ومعاني القراءات،الأزهري:405.

6- سورة يس،من الآية/69.

7- ينظر:الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:300،وحجّة القراءات،ابن أبي زرعة:603.

8- معاني القراءات،الأزهري:405.

1- سورة الرعد،من الآية/7

أمّا القراءة بالياء فهي محتملة للمعنيين، أي أن يكون المنذر هو الرسول(صلى الله عليه وآله)، أو القرآن الكريم. وكلاهما له وجهه الصحيح المقبول، وبذلك ندرك دلالة أحرف المضارعة في توجيه المعاني بما يثري اللغة ويظهر جمالها ويفتح آفاقا تتّسم بالسعة في الاستعمال اللغوي للفعل المضارع في سياق النص القرآني وقراءاته.

وممّا تجدر الإشارة إليه في هذا المقام معنى الحياة في الآية الكريمة، ولم قال:" لينذر من كان حيّا" ؟

والجواب على ذلك أنّ الحياة ها هنا بمعنى حياة القلب،أي من كان حيّ القلب يعقل ما يقال له ويفهم ما يبيّن له غير ميّت الفؤاد بليد،وهذا قول الطبري في تفسيره، وتابعه على ذلك الشوكاني.[1]

وجاء في لسان العرب لابن منظور: من كان حيّا أي مؤمنا، قال:((قال الزجّاج: الأحياء المؤمنون، والأموات الكافرون)).[2] ، فتكون الحياة هنا بمعنى الإيمان وهو حياة القلوب، ولذلك عبّر القرآن عن الآخرة بأنّها الحيوان في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾.[3]، كونها عامرة بالإيمان خالية من أدران الشرك، فهي الحياة الحقيقيّة التي يتمتّع الإنسان بعيشها.

ومثال هذه الآية ممّا قرىء بالياء والتاء قوله تعالى في الأنعام:﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾.[4]، وقوله تعالى في غافر:﴿ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.[5]

ونختم هذا المبحث بقوله تعالى:﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[6]، وهو ممّا قرىء بالياء والنون، قال ابن مجاهد:((اختلفوا في الياء والنون من قوله " لِيَجْزِيَ"، فقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو" لِيَجْزِيَ"، بالياء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي "لنجزي" بالنون)).[7] ، والقراءة بالياء رسم المصحف.

ومعنى القراءة بالياء " لِيَجْزِيَ"، أنّها خبر عن الله تعالى أي أنّها تخبر عن الله أن يجزيهم ويثيبهم.أمّا القراءة بالنون "لنجزي" فهي على وجه الخبر أيضا ولكنّها من الله عن نفسه،وهذا توجيه الطبري للقراءتين.[8] ، وهو توجيه لغوي أي حسب القاعدة اللغويّة للياء

2- ينظر:جامع البيان،الطبري:27/23،وفتح القدير،الشوكاني:4/.379
3- لسان العرب،ابن منظور:14/.212
4- سورة العنكبوت،من الآية/.64
5- سورة الأنعام،من الآية/92،وينظر في هذه الآية:معاني القراءات،الأزهري:.161
6- سورة غافر،من الآية:15،وينظر فيها :معاني القراءات،الأزهري:425،والكشّاف،الزمخشري:156/4.
1- سورة الجاثية،الآية/14.
2- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:593،594.
3- ينظر:جامع البيان،الطبري:145/25.

والنون، نقول ويمكن أن يكون للقراءة توجيه آخر على وفق القاعدة التفسيريّة القرآنيّة التي تقول:((كلّ كمال وجوديّ ينسب أوّلا وبالذات إلى الله تعالى، وثانيا وبالعرض إلى غيره)).[1] ، وهو شيء ثابت في القرآن الكريم، قال تعالى:﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.[2]، ثمّ قال تعالى:﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَـكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾.[3]، فالآية الأولى نسبت التوفّي إلى الله تعالى، بينما نسبته الثانية إلى الملائكة، وعلى هذا تكون القراءة بالنون خبر عن غير الله تعالى كالرسول الكريم محمّد(صلى الله عليه وآله)، أو الملائكة.

علما أنّ هناك قراءة أخرى بضمّ الياء على ما لم يسمّ فاعله "يجزى" ، ويرى الطبري أنّها لحن على مذهب كلام العرب، إلاّ أن تكون بإضمار الجزاء وجعله مرفوعا ليجزي فيكون التقدير: ليجزي الجزاء قوما فيكون وجها من القراءة وان كان بعيدا عند الطبري.

وهذه القراءة مردودة عنده لسببين:
الأوّل: أنّها خلاف لما عليه الحجّة من القرّاء.
والثاني: لبعدها من الصحّة في العربيّة إلاّ على استكراه الكلام على غير المعروف من وجهه.[4]
ولكنّ هذه القراءة مرضيّة عند الأخفش، واتّخذها منطلقا لتأصيل قاعدة كليّة، وذلك بإنابة الجار والمجرور (بما) عن الفاعل مع وجود المفعول به في (قوما). وهذا ضرب من منهج الكوفيين في القياس على القليل والنادر والشاذ وجعله منطلقا لتأصيل قواعد كلّيّة، كما يرى الدكتور عفيف دمشقيّة.[5] ، وهنا يمكن مناقشة هذا الرأي بأنّ الكوفيين انطلقوا من النص القرآني في وضع قواعدهم، وهو بعيد عن الندرة أو قلّة الاستعمال أو الشذوذ، وهم يجيزون إقامة غير المفعول مقامه مع وجوده بشرط أن يكون أهمّ في الكلام، وهو ما يراه الدكتور فاضل السامرّائي صوابا لأنّ المعنى هو الحاكم في مثل ذلك وقد عرض لهذه القراءة واستدلّ عليها بقول الرضي: ((والأولى أن يقال كلّ ما كان أدخل في عناية المتكلّم واهتمامه بذكره وتخصيص الفعل به فهو أولى بالنيابة)).[6] ، وبذلك يكون المعنى هو الحاكم ويكون توجيه الآية أنّها تحدّثت عن ما يكسبونه وليس عمّن يكسب ذلك الجزاء.

4- هذا الكلام للعلاّمة السيّد كمال الحيدري،محاضرات صوتيّة في تفسير القرآن الكريم.
5- سورة الزمر،من الآية/42.
6- سورة النحل،من الآية/.28
1- ينظر:جامع البيان،الطبري:145/25.
2- ينظر:خطى متعثّرة على طريق تجديد النحو،عفيف دمشقيّة:.10
3- شرح الرضي على الكافيّة:221/1،وينظر:معاني النحو،فاضل السامرّائي:502/2.

دلالة اختلاف حركات المضارعة :

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة قرئت باختلاف الحركات داخل بنية الكلمة،ولم تكن هذه القراءات خاصة بالأفعال، وإنّما جاءت بصورة عامّة في الأسماء والأفعال، وممّا لا شكّ فيه أنّ لاختلاف الحركات داخل بنية الكلمة دلالته،((والدلالة المقصودة هي ما يحدثه التغيّر الذي يحصل في القراءة سواء في الإعراب أو في بنية الكلمة من تغيّر في معنى السياق إنّما جعله الله سبحانه وتعالى للاتّساع الذي يشمله النصّ القرآني بوصفه حمّال وجوه، وفيه الظاهر من الدلالة والباطن منها الذي يستشفّ من عموم النظم والتأليف)).[1]

وممّا جاء من ذلك في الأسماء لفظة "قرح" حيث قرئت بفتح القاف وضمّها في قوله تعالى:﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾.[2]، فالقرح بضمّ القاف الألم، وبالفتح الجرح.[3]، ومنه لفظة "ضعف" فهي ممّا قرئت بضمّ الضاد وفتحها في قوله تعالى:﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾.[4]، فقيل أنّهما بمعنى واحد، وقيل: الضمّ ضعف في البدن، والفتح في العقل والرأي.[5]

وبذلك نرى كيف أدّى اختلاف الحركة إلى تغيّر الدلالة إلى معنى آخر ومنه نعلم مدى أهمّيّة الحركات داخل بنية الكلمة، والحقّ أن يقال: إنّ في ذلك كشفا عن إعجاز لغة القرآن الكريم، وإبرازا لجمال هذه اللغة، وإظهارا لقوّة التعبير فيها، وهذا ممّا خصّت به لغة التنزيل التي شرّفت بكونها لغة أفضل كتاب أنزل لخير أمّة أخرجت للناس هو القرآن الكريم، ونستوحي من ذلك أيضا مدى دقّة اللغة القرآنيّة والتعبير القرآني في تأديّة المعاني والإيحاء إلى ما يرمي إليه بأكثر من دلالة.

ومن هنا ننطلق إلى الآيات القرآنيّة مستوحين منها دلالة الحركات في الفعل المضارع وما أثرته من سعة في اللغة وأضفته من دلالات جديدة يمكن الإفادة منها، وأوّل نصّ قرآني يشهد لنا على صحّة ما قدّمنا قوله تعالى في سورة البقرة:﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.[6]

1- دلالة الجر والإضافة في سورة المائدة،رحيم جبر أحمد:.121

2- سورة آل عمران،من الآية/.140

3- ينظر:معاني القرآن،الفرّاء:234/1،والتخريجات النحويّة والصرفيّة لقراءة الأعمش،سمير أحمد:.283

4- سورة الأنفال،من الآية/.66

5- ينظر:النشر في القراءات العشر،ابن الجزري:277/2،والتخريجات النحويّة والصرفيّة:283.

1- سورة البقرة،الآية/221.

فقوله تعالى: " تَنكِحُوا" ممّا قرىء بفتح التاء وهي قراءة الجمهور، وهي موافقة لرسم المصحف. وقرىء في الشواذ عن الأعمش بضمّها.[1]
والمعنى على قراءة الفتح هو: لا تزوجوا المشركات، فهي نهي للمسلمين عن الزواج من المشركات، والقرّاء على هذا. أمّا قراءة الضم، فالمراد بها لا تزوّجوهنّ المسلمين، وكأنّ المتزوّج لها أنكحها من نفسه.[2]، والمعنى المفهوم من القراءتين هو عدم الزواج من المشركات سواء أكانت القراءة بالفتح أم بالضم.

أمّا قوله تعالى: " وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ"، فالقرّاء على ضمّ التاء فيه، قال القرطبي: ((والقرّاء على ضمّ التاء من تنكحوا الثانية، وفي هذه الآية دليل بالنص على أنّ لا نكاح إلاّ بولي، قال محمّد بن علي بن الحسين: النكاح بولي في كتاب الله ثمّ قرأ " وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ")).[3]
فالآية هنا تنهى أولياء المسلمات عن تزويجهنّ من المشركين، وممّا تجدر الإشارة إليه ما قاله الرازي في تفسيره وهو:((في الآية إشكال، وهو أنّ "وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ"، يقتضي حرمة نكاح المشركة، ثمّ قوله "وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ" يقتضي جواز التزوّج بالمشركة، لأنّ لفظة أفعل تقتضي المشاركة في الصفة ولأحدهما مزية، قلنا: نكاح المشركة مشتمل على منافع الدنيا، ونكاح المؤمنة مشتمل على منافع الآخرة، والنفعان مشتركان في أصل كونهما نفعا، إلاّ أنّ نفع الآخرة له المزية العظمى، فاندفع السؤال. والله أعلم)).[4]
وبذلك نرى اختلاف الحركات وما يؤدّي إليه من معان يمكن الإفادة منها، والعمل بها، وهذا ما سنراه بوضوح وجلاء من خلال النصوص القرآنيّة التي تشكّل أساس هذا المبحث.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾.[5]،فقد وردت في هذه الآية قراءتان، الأولى بضمّ الحاء من"يحلّ" وضمّ اللام الأولى من"يحلل"، هي قراءة الكسائي وحده، والثانية بكسر الحاء واللام "يحل" ، "يحلل" وهي قراءة الجمهور.[6] ، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف موافقة تامّة.
ومعنى القراءة بالكسر: يجب عليكم غضبي، فمعنى: يحلّ يجب، أمّا القراءة بالضمّ فمعناها الوقوع أي: فيقع وينزل عليكم غضبي.[7]

2- ينظر:مختصر في شواذ القرآن،ابن خالويه:13،والجامع لأحكام القرآن،القرطبي:66/3.
3- ينظر:معاني القرآن،الفرّاء:143/1.
4- الجامع لأحكام القرآن،القرطبي:72./3
1- التفسير الكبير،الفخر الرازي:64/6.
2- سورة طه،الآية/.81
3- ينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد:422،وحجّة القراءات،ابن أبي زرعة:460.
4- ينظر:جامع البيان،الطبري:193/16،والجامع لأحكام القرآن،القرطبي:230/11،231.

ومن هنا ندرك أثر تغيّر الحركات في توجيه المعاني فوجوب الغضب الذي أفدناه من القراءة بالكسر شيء ووقوع العذاب ونزوله على الطغاة شيء آخر. والوجوب غير النزول والوقوع بالمعنى الدقيق للآية. إلاّ أنّه لا تعارض بينهما، ويمكن توجيه الآية على المعنيين.

لكنّ المختار عند علماء العربيّة هو القراءة بالكسر، قال الفرّاء:((والكسر فيه أحبّ إليّ من الضم لأنّ الحلول ما وقع من يحلّ، ويحلّ _ يجب، وجاء بالتفسير بالوجوب لا بالوقوع، وكلّ صواب)).[1]، وقال ابن خالويه:((والوجه الكسر لإجماعهم على قوله تعالى "ويحلّ عليه عذاب مقيم" بالكسر)).[2]

وأغلب الظن أنّ القراءة بالكسر أولى وأرجح على قراءة الفتح وذلك لقوله تعالى: " وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ" أي فيما رزقناكم فيحلّ، أي يجب عليكم غضب الله لطغيانكم في رزقه تعالى، فوجب الغضب عليهم باستحقاقهم له لكونهم طاغين كما تقول: من اجتهد وجب له النجاح ،ولا تقول وقع مع امكان ذلك، إلا إنّ الوجوب هو الأولى لاجتهاده. ووجوب الغضب هو الأولى للطغيان.

وقال الطبري:((والصواب في ذلك من القول انّهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء)).[3]

وبذلك ندرك أهمّيّة الحركات في توجيه المعاني وما تؤدّي إليه من دلالات مفيدة من شأنها إثراء النص القرآني.

ومن سورة المؤمنين يطالعنا قوله تعالى:﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ﴾.[4]، فقد قرىء قوله " تَهْجُرُونَ" بضمّ التاء وكسر الجيم: "تهجرون"، وهي قراءة نافع وحده، وقرأ الباقون بفتح التاء وضمّ الجيم "تهجرون".[5]، وهي موافقة لرسم المصحف، ولكلّ قراءة حجّتها، قال ابن خالويه:((الحجّة لمن فتح أنّه أراد به هجران المصادمة لتركهم سماع القرآن والإيمان به، والحجّة لمن ضمّ أنّه جعله من قولهم أهجر المريض إذا أتى بما لا يفهم عنه ولا تحته معنى يحصل، لأنّهم كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه وتكلّموا بالفحش، وهذوا وسبّوا)).[6]

والمهم هنا هو بيان المعنى الذي تفيده هاتان القراءتان، فللقراءة بفتح التاء وضمّ الجيم معنيان:

أحدهما: أن يكون عنى أنّه وصفهم بالإعراض عن القرآن أو البيت أو الرسول(صلى الله عليه وآله) ورفضه، وهي هنا بمعنى الترك والإعراض.

1- معاني القرآن،الفرّاء:188/2،وينظر:لسان العرب،ابن منظور:170./11
2- الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:.245
3- جامع البيان،الطبري:193/16.
4- سورة المؤمنين،الآية/.67
5- ينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد:446،وحجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.489
1- الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:258،وينظر:حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.489

والآخر: أن يكون عنى أنّهم يقولون شيئا من القول كما يهجر الرجل في منامه وذلك إذا هذى، وذلك أنّهم يقولون في القرآن ما لا معنى له من القول. أمّا القراءة بضمّ التاء وكسر الجيم فمعناها الفحش في المنطق والخنا من قولهم أهجر الرجل إذا أفحش في القول.[1]

وهذه الثمرة التي حصلنا عليها من اختلاف الحركات في توجيه دلالة الآية الكريمة في بيان صفة هؤلاء المستكبرين وحالهم في هجر القرآن والرسول الكريم(صلى الله عليه وآله). ومن هجر القرآن والرسول فهو أحقّ بالهجر، ولا يمكن للسانه أن يستقيم، وهو معنى متحصّل من الجمع بين القراءتين.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.[2]، فقد قرىء قوله " لِيُضِلَّ" بفتح الياء وهي قراءة ابن كثير، وأبو عمرو، وقرأه نافع، وابن عامر بضمّ الياء وكذلك قرأه حمزة والكسائي.[3] ، والقراءة بضمّ الياء رسم المصحف.

فما الفرق بين القراءتين، وما المعنى الذي تؤدّيه كلّ قراءة، قال النحّاس:(("لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ" أي ليضلّ غيره، ومن قرأ "ليضلّ" فعلى اللازم له عنده)).[4]، فالفعل على القراءة الأولى متعدّي، وعلى الثانية لازم، وهذا فرق كبير في الدلالة، ومعنى القراءة بالرفع على ذلك متوجّه إلى إضلال الناس، وهي تقتضي ضلاله أيضا. أمّا القراءة بالفتح فمعناها ليصير أمره إلى الضلال.[5]، وقال الزمخشري في القراءة بالفتح معنيان هما:

الأوّل: بمعنى الثبات على ضلاله الذي كان عليه.

الثاني: أن يوضع "ليضلّ" موضع "ليضلّ"، من قبل أنّ من أضلّ كان ضالا لا محالة، فدلّ بالرديف على المردوف.[6]، وبذلك يتّضح أنّ للآية الكريمة ثلاث دلالات هي:

الأولى: إضلال الناس عن طريق الحق ومنهج الصواب، وهي دلالة القراءة بالضم.

الثانية: الثبات على الضلال والزيادة منه، وهي دلالة القراءة بالفتح.

الثالثة: بمعنى الإضلال أيضا، ولكن وضع "ليضلّ" موضع "ليضلّ" وهي دلالة القراءة بالفتح أيضا.

وجميع هذه المعاني مستفادة من الآية الكريمة لا تناقض بينها ولا تنافر،ويمكن الأخذ بها جميعا في توجيه معنى الآية. ومثال هذه الآية ممّا جاء في القرآن الكريم في الصيغة

2- ينظر:جامع البيان،الطبري:41/18،وزاد المسير،ابن الجوزي:483/5.

3- سورة لقمان،الآية/6.

4- ينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد:.267

1- إعراب القرآن،النحّاس:2/.600

2- ينظر:حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.563

3- ينظر:الكشّاف،الزمخشري:491/3،وزاد المسير،ابن الجوزي:6/.317

والقراءة قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ﴾.[1]، وقوله:﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾.[2]، وقوله:﴿ لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾.[3]، وقوله:﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.[4]، وقوله:﴿ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.[5]، وكلّها ممّا قرىء بضمّ الياء وفتحها.[6]

ومن سورة لقمان ننتقل إلى الصافّات حيث نجد قوله تعالى:﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾.[7]، ممّا قرىء بفتح الزاي"ينزفون" وكسرها "ينزفون" فقد قرأ عاصم هنا وفي الواقعة، بكسرها. والتي في الواقعة، قوله تعالى:﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾.[8]، وقرأها حمزة، والكسائي بكسر الزاي، وكذلك في الواقعة، وقرأ الباقون بفتح الزاي في السورتين.[9] ، و القراءة بالفتح رسم المصحف في سورة الصافّات، وبالكسر في سورة الواقعة.

واحتجّ كلّ فريق لقراءته، فالحجّة لمن قرأه بالكسر أنّه أراد لا ينفد شرابهم، والحجّة لمن فتح أنّه أراد لا تزول عقولهم إذا شربوها بالسكر.[10]، وما نسعى إليه هو بيان الدلالة التي تؤدّيها كلّ من القراءتين، ومن المؤكّد أنّ لكلّ قراءة معناها. فمعنى القراءة بالفتح أنّهم لا يلحقهم نقصان بسكر ولا غيره فنفى الله تعالى عنهم السكر لما فيه من السفه والباطل، وأصل نزف نقص. أمّا القراءة بالكسر فلها معنيان:

الأوّل: من أنزف الرجل إذا نفد شرابه، والمعنى أنزف شرابه.

والثاني: بمعنى السكر، فحكي أنّه يقال: أنزف الرجل إذا سكر، ومنه قول الأبيرد اليربوعي:

لعمري لئن أنزفتموا أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا.

وأمّا أنزف الرجل إذا ذهب عقله من السكر فمعروف مسموع من العرب.[11]

ونلاحظ هنا أنّ كلّ قراءة أفادت معنى ونفت صفة من صفات النقص عن أهل الجنّة، فالأولى نفت عنهم السكر، والثانية نفت السكر ونفاد الشراب، وبذلك نرى أنّه لا تعارض بين القراءتين، ويمكن حمل المعنى على كلا الدلالتين.

4- سورة الأنعام،من الآية/.119
5- سورة يونس،من الآية/.88
6- سورة إبراهيم،من الآية/.30
7- سورة الحج،من الآية/.9
8- سورة الزمر،من الآية/8
9- ينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد:267.

1- سورة الصافّات،الآية/.47
2- سورة الواقعة،الآية.19
3- ينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد:547،ومعاني القراءات،الأزهري:409.
4- ينظر:الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:302.
5- ينظر:معاني القرآن،النحّاس:25/6،26،والجواهر الحسان،الثعالبي:17/4.

ومن هنا انطلق الطبري في تصويب كلا القراءتين قال: ((والصواب من القول في ذلك عندنا أنّهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى غير مختلفتيه، فبأيّهما قرأ القارىء فمصيب وذلك أنّ أهل الجنّة لا ينفد شرابهم، ولا يسكرهم إيّاه فيذهب عقولهم)).[1]

أمّا سبب قراءة عاصم للتي في الصافّات بالفتح، والتي في الواقعة بالكسر، قيل انّه جمع بين القراءتين ليعلم بجوازهما، وقيل: إنّما فتحها في الصافّات لقوله " لَا فِيهَا غَوْلٌ" وهو كلّ ما اغتال الإنسان فأهلكه وذهب بعقله. وكسر في الواقعة لأنّ الله تبارك وتعالى وصف الجنّة وفاكهتها وجعل شرابها من معين والمعين لا ينفد، فكان ذهاب العقل في الصافّات أشبه، ونفاد الشراب في الواقعة أشكل.[2]

وبذلك ندرك أهمّيّة الحركات داخل بنية الكلمة ومدى تأثيرها في السياق القرآني وما تضفيه من دلالات ممّا يظهر لنا جلالة هذه اللغة وعظمتها، ويدعونا للوقوف على كلّ جزئيّاتها مهما صغرت لنلتمس من ذلك أسرار إعجازها وقوّة بلاغتها في سياق النظم القرآني.

وما زلنا في سورة الصافّات وقوله تعالى:﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.[3]، فقد قرىء قوله تعالى " تَرَى" بضمّ التاء وكسر الراء "تري"، وهي قراءة حمزة والكسائي. وقرأه الباقون بفتح التاء.[4] "تَرَى" وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف.
والمعنى على قراءة الفتح: أنظر أيّ شيء تأمر أو ما الذي تأمر، وعلى قراءة الضم: ماذا تشير وماذا ترى من صبرك أو جزعك من الذبح.[5]، فإبراهيم "عليه السلام" يطلب من ولده

1- جامع البيان،الطبري:55/23.
2- ينظر:الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:302.

1- سورة الصافّات،الآية/.102
2- ينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد:548،والحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:.302
3- ينظر:جامع البيان،الطبري:78/23،وحجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.609
4- أنوار التنزيل، البيضاوي:21/5،وينظر:روح المعاني للآلوسي:4/.107
5- سورة البقرة،من الآية/256.

إسماعيل"عليه السلام" أن يتأمّل هذه الرؤيا وينظر ما الذي يراد منه، ويريد رأيه فيها، وهو معنى القراءة بالفتح. وهنا يرد سؤال هو: لماذا شاوره في الأمر وهو حتم؟
قال البيضاوي: ((إنّما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبّت قدمه إن جزع، ويأمن عليه إن سلّم، وليوطّن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله)).[1]

وهذا التوجيه مسلّم بصحّته لولا العبارة الأخيرة "قبل نزوله" فالبلاء كان نازلا على إبراهيم ثمّ عرضه على إسماعيل "عليهما السلام". وله توجيه آخر هو أنّ التكليف من الله تعالى ليس إجباريّا وإنّما هو باختيار الفرد المؤمن فان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل، ويعضّده قوله تعالى:﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ﴾.[2]، فمن لم يكره في الدين لا يكره في جزئيّاته وهي التكاليف.

وبذلك نرى أنّ القراءة بالضم لا تعارض القراءة بالفتح، بل المعنى فيها قريب من أختها ويمكن حمل الآية على كلا الوجهين، الرأي والرؤية وهو ما دلّت عليه قراءة الفتح، أو المشورة وهو ما دلّت عليه قراءة الضم. والقراءة بالضم شائعة حسبما جاء في حرز الأماني:

وماذا تري بالضمّ والكسر شائع والياس حذف الهمز بالخلف مثّلا.[3]

إلا إنّ المرجّح لدى الطبري هو القراءة بالفتح، قال: ((وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه ماذا "ترى" بفتح التاء بمعنى ماذا ترى من الرأي)).[4]
وفي الآية الكريمة دلالات أخر لابدّ من الإشارة إليها وهي:

1. تدلّ الآية على عصمة الأنبياء"عليهم السلام" من حيث صدق الرؤيا لديهم، فهم منزّهون عن الأضغاث وغيرها ممّا يصيب البشر، ولو كانت ممّا يصيب البشر لما عمل بها إبراهيم "عليه السلام".
2. خصوصيّة التكليف بالنسبة للأنبياء، إذ لهم تكاليف خاصّة غير التكاليف العامّة التي تسري على جميع البشر، ومنها هذا التكليف.
3. تبيّن الآية الكريمة منهج القرآن في تربية الإنسان، فالآية تشير بوضوح إلى أنّ أمر الله نافذ على عباده ولو كان بقتل الآباء والأبناء، فإذا أراد الله قتل الأبناء تقتل ومن دون اعتراض.

1- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع،القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي:.133
2- جامع البيان،الطبري:23/.78
3- سورة الصافّات،من الآية/102.

4. تبيّن الآية الكريمة مدى استجابة إسماعيل"عليه السلام" لأمر الله أوّلا ولأبيه ثانيا، حيث قال:﴿ قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾.[1]، فلم يعترض ولم يماطل مطلقا. والله العالم بالصواب.

ونختم هذا المبحث بقوله تعالى في سورة الانشقاق:﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾.[2]،فقد قرىء قوله تعالى " لَتَرْكَبُنَّ" بضمّ الباء وهي قراءة نافع، وابن عامر، وعاصم. وبفتحها وهي قراءة ابن كثير، وحمزة، والكسائي.[3] ، والقراءة بضمّ الباء رسم المصحف.

وهما قراءتان كما ترى، وقد احتجّ كلّ فريق لقراءته، فالحجّة لمن قرأه بالضم أنّه خطاب للجميع وأصله على ذلك "لتركبونن" فذهبت الواو لسكونها وسكون النون المدغمة فبقيت الباء على أصلها الذي كانت عليه. والحجّة لمن قرأه بالفتح أنّه خطاب للنبي "صلى الله عليه وآله" والمراد: لتركبنّ يا محمّد طبقا من أطباق السماء بعد طبق، ولترتقيّن حالا بعد حال، وعلى ذلك فالقراءة بالضم خطاب للناس جميعا، وممّا يقوّي ذلك سياق الآية فهو يتحدّث عمّن أوتي كتابه بيمينه، وعمّن أوتي كتابه بشماله، وعن كدح الإنسان إلى ربّه وملاقاته. والمراد: لتركبن حالا بعد حال، من إحياء وإماتة وبعث حتّى تصيروا إلى الله سبحانه وتعالى، وقيل أمرا بعد أمر، من رخاء بعد شدّة، وفقر بعد غنى، وصحّة بعد سقم. وقيل المراد أحوال الانسان من نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة إلى موته.[4]

والذي يبدو من سياق الآية الكريمة أنّ المراد هو ركوب الانسان مدارج الكمال التي ترتقي به من حضيض الأمور الدنيويّة إلى سعادة القرب الإلهي والحياة المعنويّة، فالآيات قبلها تتحدّث عن يوم القيامة وأحوال الناس ولقاء الله ولا يكون ذلك إلاّ بالارتقاء إلى الله تعالى وذلك بتصفية النفس ممّا علق بها من شوائب الدنيا وركوبها مراتب الكمال واحدة تلو الأخرى حتّى وصولها إلى المولى تبارك وتعالى.

أمّا القراءة بالفتح: " لتركبنّ"، فقيل إنّها موجّهة إلى الرسول "صلى الله عليه وآله" :أي لتركبنّ يا محمّد حالا بعد حال من يوم أوحى إليه الله إلى يوم قبضه، وقيل سماء بعد سماء في المعراج.[5]، وهذا تفسير مادي للآية الكريمة.

1- سورة الانشقاق،الآية/.19

2- ينظر:السبعة في القراءات،ابن مجاهد:677،ومعاني القراءات،الأزهري:537،والتبيان،الطوسي:312/10.

3- ينظر:الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:376.

1- ينظر:حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.757

2- مجمع البيان،الطبرسي:307./10

وقال الطبرسي:((ويجوز أن يريد درجة بعد درجة، ورتبة بعد رتبة في المقربة من الله ورفعة المنزلة عنده)).[1]، وهو تفسير دقيق ولطيف، فالرسول الكريم محمّد "صلى الله عليه وآله" وصل المقام الذي لم يبلغه أحد قبله، وهو ما أشار إليه القرآن، بقوله:﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.[2]، وهذا المعنى هو الأنسب إذا ما خصّت القراءة بالرسول الكريم "صلى الله عليه وآله".

ولكنّنا نجد من يرى أنّ الآية موجّهة إلى الأمور فهي فاعلة، والتاء في "لتركبنّ" لتأنيث الأمور، والمعنى لتصيرنّ الأمور حالا بعد حال بتغيّرها واختلاف الأزمان. وقيل المراد السماء وأحوالها فتكون وردة كالدهان، وتكون كالمهل في اختلاف هيأتها، والتاء لتأنيث السماء، وممّن ذهب إلى ذلك مجاهد في تفسيره.[3]

وجميع هذه المعاني مستفادة من الآية يمكن الأخذ بها جميعا في تفسيرها، لم نحصل عليها لولا ورود القراءة في الآية الكريمة بالوجهين المذكورين سابقا.

3- سورة النجم،الآيتان/8،9.

4- ينظر:حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:757،وتفسير مجاهد:742/2.

الدلالة النحويّة :

إنّ ما يميّز المضارع من بين سائر الأفعال، كونه معربا، بخلاف الماضي والأمر، فهما مبنيّان، ولا شكّ في أنّ إعرابه يعطيه رتبة أعلى في الدلالة من رتبة الماضي والأمر، فهو يأتي مرفوعا ومنصوبا ومجزوما، ومن هنا فهو يشترك مع الأسماء في نوعين من الإعراب هما "الرفع والنصب" وينفرد بنوع خاص هو "الجزم".

وقد أشار علماء اللغة القدماء إلى دلالة الرفع والنصب والجزم، فقالوا: الرفع دلالة على وقوع الحدث، والنصب دلالة على عدم وقوعه، ففي حالة الرفع يكون وقوع الفعل مؤكّدا، أمّا في حالة النصب فانّ وقوعه غير مؤكّد. قال سيبويه:

((كتبت إليه أن لا تقل ذاك، وكتبت إليه أن لا يقول ذاك، وكتبت إليه أن لا تقول ذاك،فأمّا الجزم فعلى الأمر، وأمّا النصب فعلى قولك، لئلاّ يقول ذاك، وأمّا الرفع، فعلى قولك: لأنّك لا تقول ذاك، أو بأنّك لا تقول ذاك، تخبره بأنّ ذا قد وقع من أمره)).[1]

وأنت تلاحظ وقوع الفعل في حالة الرفع المشار إليه بعبارة:" بأنّ ذا قد وقع من أمره ". والعبارة محقّقة بـ" قد "، وعدم وقوع الفعل المشار إليه بعبارة:" لئلاّ يقول ذاك ".أي لكي لا يقول، فالفعل غير واقع هنا. أمّا الجزم فمعناه النهي عن إيقاع الفعل، وقد أشار إليه سيبويه بقوله:"فأمّا الجزم فعلى الأمر".

وهنا قد يرد سؤال في الذهن هو: الفعل غير واقع في حالة النصب، كما تبيّن، وفي حالة الجزم هو غير واقع أيضا، فما الفرق بين نصب المضارع وجزمه ؟

نقول: إنّ الفرق بين نصب المضارع وجزمه هو: إنّ الفعل في حالة النصب يمكن وقوعه، أمّا في حالة الجزم، فلا يمكن وقوعه مطلقا، ولنوضّح ذلك بالمثال الآتي:

_ يكتب محمّد الدرس. (الفعل واقع)

_ لن يكتب محمّد الدرس. (الفعل غير واقع،لكنّه قد يقع)

_ لم يكتب محمّد الدرس. (الفعل غير واقع مطلقا)

ومن الأمثلة يتبيّن الفرق بوضوح وجلاء، ففي المثال الثاني لا جزم في عدم وقوع الكتابة من محمّد، وإنّما هو: لن يكتب الدرس الآن، وقد يكتبه لاحقا، أمّا المثال الثالث ففيه معنى عدم وقوع الكتابة من محمّد، ممّا يدلّ على أنّ عدم وقوع الفعل في حالة الجزم أقوى منه في حالة النصب.

وسأدرس في هذا الفصل إن شاء الله تعالى الدلالة النحويّة للفعل المضارع في القرآن الكريم، مستمدّا هذه الدلالة من آياته المباركات، ذلك بأنّ الفعل المضارع ورد في كثير من الآيات القرآنيّة يحتمل أكثر من وجه إعرابي، فتارة يرد مرفوعا مع احتمال النصب, وأخرى يرد منصوبا مع احتمال الجزم، فضلا عن القراءات القرآنيّة المتعدّدة في الفعل المضارع، فقد يرد مرفوعا برسم المصحف وفيه قراءة بالنصب أو الجزم، كلّ ذلك سيكون محور الدراسة الدلاليّة في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

1- الكتاب،سيبويه:166/3،وينظر:دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء،بتول قاسم:177.

دلالة الوجوه النحويّة:

ما أعنيه بالوجوه هنا هو الوجه النحوي الذي يحتمله الفعل المضارع من رفع أو نصب أو جزم، ممّا ليس بقراءة. فهناك أفعال مضارعة في آيات من كتاب الله العزيز، يحتمل فيها أكثر من وجه إعرابي، فمنها ما يحتمل الرفع والنصب ومنها ما يحتمل النصب والجزم، ولا ريب في أنّ لكلّ وجه دلالته ومعناه، فدلالة الرفع غير دلالة النصب، ودلالة النصب غير دلالة الجزم.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾.[1]

فقوله "تعبدون" ورد مرفوعا، فما وجه الرفع فيه؟ قال الفرّاء:((رفعت تعبدون لأنّ دخول أن يصلح فيها، فلمّا حذف الناصب، رفعت، كما قال الله تعالى:﴿أفغير الله تأمروني أعبد﴾. وكما قال:﴿ولا تمنن تستكثر﴾. وفي قراءة عبد الله "ولا تمنن أن تستكثر". فهذا وجه من الرفع، فلمّا لم تأت بالناصب رفعت، وفي قراءة أبي:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا

1- البقرة/.83
2- معاني القرآن،الفرّاء:53/1.

تَعْبُدُوا﴾. ومعناه الجزم بالنهي وليست بجواب لليمين ويدلّ على أنّه نهي وجزم أنّه قال:" وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا"))[1].

ومع هذا التوجيه اللغوي الذي يذكره الفرّاء في النصّ لرفع الفعل لنا أن نسأل ألم يكن الجزم أولى بدليل عطف الأمر عليه في قوله: "وَقُولُوا" ، فلم ورد الفعل مرفوعا وما الدلالة التي يؤدّيها الرفع ؟

قال الطبرسي (ت548ه):((لا تعبدون، إخبار في معنى النهي، كما يقال: تذهب إلى فلان تقول له كذا وكذا، يراد به الأمر وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنّه كأنّه قد سورع إلى امتثاله فأخبر عنه، ويؤيّده قراءة عبد الله وأبي:" لَا تَعْبُدُوا "))[2].

وهنا يكمن سرّ الرفع، فهو لوجه بلاغيّ قصده القرآن قصدا، فهو خبر معناه الأمر،وهو أبلغ من صريح الأمر. وقيل قوله "لا تعبدون" في موضع الحال،أي أخذ الله ميثاقهم موحّدين أو غير معاندين، وهذا القول ذكره القرطبي، ونسبه إلى قطرب(ت206 ه) والمبرّد(ت285ه)[3]، وفي اعتقادي أنّ هذا التفنّن في الأسلوب النحوي القرآني سرّ من أسرار إعجازه وهو كاشف عن جمال اللغة العربيّة، بل عن سعة هذه اللغة التي احتوت كتاب الله لفظا ومعنى.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[4].

فقوله:" يُنْصَرُونَ " ممّا جاء مرفوعا، مع أنّه جزم " يُوَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ "، فما السبب في ذلك ؟ قال سيبويه:((وأعلم أنّ ثمّ إذا أدخلته على الفعل الذي بين المجزومين لو يكن إلاّ جزما، لأنّه ليس ممّا ينصب. وليس يحسن الابتداء، لأنّ ما قبله لم ينقطع. وكذلك الفاء والواو و أو إذا لم ترد بهنّ النصب، فإذا انقضى الكلام ثمّ جئت بـ " ثمّ " فان شئت جزمت، وان شئت رفعت. وكذلك الفاء والواو، قال تعالى: " ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ")).4

ومن النص يتّضح لنا أن الكلام قد تمّ عند قوله: يولّوكم الأدبار، وقوله: لا ينصرون، كلام مستقلّ عن الأوّل، وهو توجيه مقبول.

ووجّهه الطبري توجيها آخر قال:((وإنّما رفع قوله " ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ "، على جواب الجزاء، ائتنافا للكلام، لأنّ رؤوس الآي قبلها بالنون فألحق هذا بها، قال:"ولا يؤذن لهم

1- جوامع الجامع،الطبرسي:121/1،وينظر:أنواتر التنزيل، البيضاوي:353./1.
2- الجامع لأحكام القرآن،القرطبي:13/2.
3- سورة آل عمران،الآية/.111
4- الكتاب،سيبويه:89/3،90.

(فيعتذرون) رفعا، وقد قال في موضع آخر" لا يقضى عليهم فيموتوا "، إذ لم يكن رأس آية))[1].

وتعليل الطبري لرفع الفعل يغلب عليه الطابع الصوتي. فهو موافقة لرؤوس الآي التي قبلها، ومع إنّ القرآن يراعي جماليّة النظم والنسق القرآني، لكنّنا لا نستطيع الاقتصار على هذا التعليل، وإنّما نريد تعليلا نحويّا دلاليّا إن صحّ التعبير، وهو ما أفادنا به الشيخ الطوسي في حديثه عن الآية، قال:((" وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ " جزم لأنّه شرط و " يُوَلُّوكُمْ " جزم لأنّه جزاء، وقوله:" ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ "، رفع على الاستئناف، ولم يعطف ليجري الثاني على مثال الأوّل، لأنّ سبب التولية القتال، وليس كذلك منع النصر لأنّ سببه الكفر، والرفع أشكل برؤوس الآي المتقدّمة))[2] ، ومن النص يتّضح لنا السبب في رفع الفعل، فلو عطف " يُنْصَرُونَ" على " يُوَلُّوكُمْ " لكان المعنى: " إن يقاتلوكم يولّوكم الأدبار ولا ينصروا" فيكون سبب توليّة الأدبار وسبب عدم النصر هو القتال، وليس كذلك، لأنّ سبب عدم النصر هو الكفر، ولهذا رفع القرآن الفعل ليفرّق بين المعنيين كما يستفاد من قول الشيخ الطوسي.

ومن سورة البقرة ننتقل إلى سورة القلم فيطالعنا قوله تعالى:﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[3]، فقوله: "تدهنون" ممّا ورد مرفوعا أيضا. وكان من الممكن نصبه على جواب التمنّي، والمضارع إذا كان جوابا لستّة أشياء هي:((النفيّ، والأمر، والنهي، والاستفهام، والعرض، والتمنّي، واتّصلت به الفاء نصب، وهذه الفاء تفيد السببيّة.[4] ،وهذا مقرّر

1- جامع البيان،الطبري:4/.47
2- التبيان،الطوسي:2/559.

1- سورة القلم،الآية/9.
2- ينظر:المقتصد في شرح الإيضاح،عبد القاهر الجرجاني:2/1061،وشرح قطر الندى،ابن هشام:94.
3- سورة الأعراف،من الآية/.53
4- سورة طه،من الآية/.61
5- سورة طه،من الآية/.81
6- الكتاب،سيبويه:3/36.

ومعروف عند النحاة، وهو أمر ظاهر في آيات القرآن الكريم على نحو مطّرد، ومن هذه الآيات،قوله تعالى:﴿ فَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾.[1]، وقوله:﴿ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾.[2]، وقوله:﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾.[3]، وغيرها كثير من آيات القرآن المباركات، ومع ذلك عدل القرآن هنا عن هذا الموقع الإعرابي للفعل والتمس موقعا آخر، فجاء بالفعل مرفوعا، فكيف يمكن توجيه الرفع هنا, وما دلالته ؟

قال سيبويه:((وتقول ودّ لو تأتيه فتحدّثه. والرفع جيّد على معنى التمنّي، ومثله قوله عزّ وجلّ:" وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ "، وزعم هارون أنّها في بعض المصاحف: " وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا "))[4].

ومعنى قول سيبويه "والرفع جيّد على معنى التمنّي" أي: ودّ لو تأتيه، ولو تحدّثه، فكلاهما داخل في حيز التمنّي. وقد عبّر الأخفش(ت215ه) عن هذا بقوله:((وقد يجوز إذا حسن أن تجري الآخر على الأوّل أن تجعله مثله نحو قوله " وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ " ، أي:" وَدُّوا لَوْ يُدْهِنُونَ ".))[5]، وقال العكبري:((إنّما أثبت النون لأنّه عطفه على تدهن ولم يجعله جواب التمنّي)). ، وبذلك ندرك دقّة القرآن في أحكامه النحويّة، وما تؤدّي إليه من معان في غاية الجمال.[6]

وبناءً على ما تقدّم تكون الفاء للعطف وليست للسببيّة، جاء في كتاب حروف المعاني للزجّاجي(ت340ه):((الفاء تكون عاطفة تدلّ على أن الثاني بعد الأوّل ولا مهلة، وتكون جوابا للجزاء، فيكون ما قبلها منقطعا ممّا قبله في الإعراب)).[7]

وقيل للاستئناف، قال ابن هشام الأنصاري(ت761ه):((والتحقيق أنّ الفاء للعطف في ذلك كلّه، وانّ المعتمد بالعطف الجملة لا الفعل، وإنّما يقدّر النحويّون كلمة "هو" ليبينوا أن الفعل ليس المعتمد بالعطف)).[8]

1- معاني القرآن،الأخفش:.53

2- التبيان،العكبري:266/2،وأنوار التنزيل، البيضاوي:370/5.

3- حروف المعاني،الزجّاجي:39.

4- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،ابن هشام الأنصاري:223/1،وينظر:جامع الدروس العربيّة،مصطفى الغلاييني:121/2.

وبعد معرفة السبب في رفع الفعل من خلال هذه النصوص التي عرضتها لعلماء اللغة، بقي أن نتعرّف دلالة الرفع، ولم عدل القرآن إليه؟ قال الزمخشري:((فان قلت لم رفع "يدهنون"، ولم ينصب بإضمار "أن" وهو جواب التمنّي؟ قلت: قد عدل به القرآن إلى طريق آخر، وهو أن جعل خبر لمبتدأ محذوف،أي فهم يدهنون، كقوله تعالى: "فمن يؤمن بربّه فلا يخاف" على معنى: ودّوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ، أو ودّوا إدهانك فهم الآن يدهنون، لطمعهم في إدهانك)).[1]

ومن النص ندرك الغاية من رفع الفعل بجعله خبر لمبتدأ محذوف، والذي يبدو لي أنّ السبب الرئيس في رفع الفعل هو لإثبات ادهانهم أصلا ولو نصب لكان المعنى، نفي الادهان عنهم حتّى يدهن الرسول(صلى الله عليه وآله)، فيكون سبب ادهانهم بسبب ادهانه لأنّ الفاء تكون للسببيّة على النصب. وهذا غير مقبول وإنّما هم مدهنون أصلا ويتمنّون ادهان الرسول فيستمرّون في ادهانهم مطمئنّين لادهانه.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.[2]

1- الكشّاف،الزمخشري:4/586،والآية في سورة الجن،من الآية/13،وينظر:تفسير النسفي:4/268،وقضيّة الإعراب في النحو العربي،عبد الحسين المبارك:128.

1- سورة الجن،الآية/.13
2- الكشّاف،الزمخشري:4/.627،628
3- أنوار التنزيل، البيضاوي:5/399.

حيث عدل هنا عن جزم الفعل وهو جواب الشرط، وجعل الكلام في تقدير مبتدأ وخبر"فلا يخاف"، أي فهو لا يخاف،فما السبب في ذلك ؟ وما الفرق بين التعبيرين ؟ قال الزمخشري:((فان قلت: أيّ فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتّى يقع خبرا له ووجوب إدخال الفاء، وكان ذلك كلّه مستغنى عنه بأن يقال: لا تخف ؟ قلت: الفائدة فيه أنّه إذا فعل ذلك، فكأنّه قيل:فهو لا يخاف، فكان دالا على تحقيق أنّ المؤمن ناج لا محالة، وأنّه هو المختصّ بذلك دون غيره)).[1]

ومن هنا يتبيّن لنا سبب اختيار القرآن الرفع على الجزم في الآية الكريمة، وندرك الفرق بين التعبيرين، فعلى الجزم، يكون المراد من الآية بيان نتيجة الإيمان بالله، وهي عدم الخوف من البخس والرهق، أمّا على الرفع فانّ محور الحديث قد تغيّر وأصبح المدار هو إثبات نجاة المؤمن وتحقيقها وتخصيص ذلك به، وهذا تعبير في غاية الجمال عند الالتفات إليه.

وقال البيضاوي:((وقرىء: "لا يخف" والأوّل أدلّ على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم، "بخسا ولا رهقا " نقصا في الجزاء، ولا أن يرهقه ذلّة أو جزاء بخس لأنّه لم يبخس لأحد حقّا ولم يرهق ظلما)).[2]

ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.[3]، فقوله "يعتذرون" ممّا ورد مرفوعا أيضا، قال الفرّاء في حديثه عن الآية:((نويت بالفاء أن يكون نسقا على ما قبلها، وأختير ذلك لأنّ الآيات بالنون، فلو قيل: فيعتذروا لم يوافق الآيات، وقد قال الله عزّ وجلّ: "لا يقضى عليهم فيموتوا". بالنصب وكلّ صواب)).[4]

وتعليل الفرّاء لرفع الفعل في الآية الكريمة تعليل صوتيّ، فسبب رفع الفعل موافقة الآيات التي قبله، وهذا التوجيه لا بأس به، ولكن ما تأثير ذلك في دلالة الفعل ؟ وما الغاية من رفعه؟ قال ابن الورّاق(ت381هـ) :((إنّما رفع "يعتذرون" بالعطف على "يؤذن"، أي ليس يؤذن لهم، ولا يعتذرون، وقد قرىء بالنصب على تقدير، يكون إذن فعذر، ومعناه: لو أذن لهم اعتذروا، ولكنّ سبب عدم العذر ارتفاع الإذن، ففي نصب الثاني يجب الأوّل، وفي الرفع ليس لأحدهما تعلّق بالآخر)).[5]

1- سورة المرسلات،الآية/.36
2- معاني القرآن،الفرّاء:266/3،وينظر:الجامع لأحكام القرآن،القرطبي:352./14
3- علل النحو،ابن الورّاق:285،ينظر:التبيان،الطوسي:232./10
4- أنوار التنزيل، البيضاوي:436/5،وينظر:روح المعاني،الآلوسي:177/29.

فمعنى الرفع العطف على يؤذن فيكون منفي كما أنّ الأوّل منفي، والمعنى، أنّه لا يؤذن ولا يعتذرون، فلكلّ فعل استقلاليّته عن الآخر، وكلاهما منفيّ، أمّا قراءة النصب على الجواب، فيكون الثاني سببا للأوّل، فعدم اعتذارهم لعدم وجود الإذن في الاعتذار، وما أظنّه هنا أنّ عدم نصب الفعل هنا إنّما جاء لهذا السبب، وكأنّ لهم الحجّة على الله في عدم اعتذارهم لأنّه لم يأذن لهم، فرفع الفعل لينبّه على أنّ الاعتذار منفيّ عنهم أصلا، وليس بسبب نفي الإذن.

وقال البيضاوي:((عطف "يعتذرون"على "يؤذن" ليدلّ على نفي الإذن ونفي الاعتذار عقيبه مطلقا، ولو جعله جوابا لدلّ على أنّ عدم اعتذارهم لعدم الإذن فأوهم ذلك أنّ لهم عذرا لكن لا يؤذن لهم فيه)).[1]

وهنا يكمن سرّ الرفع وعدم النصب، لئلاّ يظنّ أحد أنّ لهم عذرا فأراد القرآن نفي العذر عنهم، فاتّخذ هذا الوجه النحوي لهذا المعنى، وهذا من بديع نحو القرآن فهو نحو معنى، ويجب أن يدرس على هذا الأساس، فالذي يقف على أسرار النظم القرآني، وما يضمّه من معاني يحسّ بجمال اللغة عموما ولغة القرآن خصوصا، وهذا ممّا لا نظير له في أيّ نصّ لغوي آخر بهذه الروعة وهذا البيان.

المضارع بين الرفع والنصب:

وأوّل ما يطالعنا في هذا المجال من آيات الكتاب المباركات، قوله تعالى في سورة البقرة:﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، ففي قوله تعالى "فتكونا" وجهان من الإعراب، النصب والجزم، قال الفرّاء:((إن شئت جعلت "فتكونا" جوابا نصبا، وان شئت عطفته على أوّل الكلام فكان جزما، مثل قول امرىء القيس :

فقلت له صوّب ولا تجهدنّه فيذرك من أخرى القطاة فتزلق.

فجزم ومعنى الجزم تكرير النهي، كقول القائل: لا تذهب ولا تعرض لأحد. ومعنى الجواب والنصب: لا تفعل هذا فيفعل بك مجازاة، فلمّا عطف حرف على غير ما يشاكله، وكان في أوّله حادث لا يصلح في الثاني نصب)).[2]

ومن النص ندرك أنّ معنى النصب له دلالته الخاصة، وهي غير دلالة الجزم، فمعنى النصب جواب وجزاء، وكأنّ المراد: إن تقربا تكونا، فكونهم من الظالمين مترتّب على قربهم من الشجرة.

وقال الطبري:((اختلف أهل العربية في تأويل قوله"وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ" فقال بعض نحويّي الكوفيّين تأويل ذلك: ولا تقربا هذه الشجرة فإنّكما إن قربتما هذه الشجرة كنتما من الظالمين، فصار الثاني في موضع جواب الجزاء، وجواب الجزاء يعمل فيه أوّله، كقولك: إن تقم أقم، فجزم الثاني بجزم الأوّل. فكذلك قوله "فَتَكُونَا" لمّا وقعت الفاء في موضع الشرط الأوّل نصب بها، وصيّرت بمنزلة "كي" للزومها الاستقبال، إذ كان أصل الجزاء الاستقبال، وقال بعض نحويي أهل البصرة تأويل ذلك: لا يمكن منكما قرب هذه الشجرة فأن تكونا من الظالمين، غير أنّه زعم أنّ "أن" غير جائز إظهارها مع "لا" ولكنّها مضمرة لا بدّ منها ليصحّ الكلام بعطف اسم، وهي أن على الاسم، كما غير جائز في قولهم عسى أن يفعل، عسى الفعل ولا في قولك ما كان ليفعل، ما كان لأن يفعل)).[3]

واختلاف التأويل نابع من الخلاف بين أهل البصرة والكوفة في مجال تقنين القواعد النحويّة، والاستشهاد، واختلاف المنهجين بينهما. فأهل البصرة يرون النصب بـ"أن"

1- البقرة/.35

2- معاني القرآن،الفرّاء:27/1،والبيت من ديوان أمرىء القيس: 106،وينظر:مشكل إعراب القرآن،مكّي بن أبي طالب القيسي:88/1،والتبيان،العكبري:31/1،والبرهان في علوم القرآن،الزركشي:144/4،وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين،قيس إسماعيل الآوسي:473.

1- جامع البيان،الطبري:234./1

2- الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري:293/2.

مضمرة، وأهل الكوفة يرونه بالفاء فهي عندهم ناصبة للفعل المضارع حملا على "كي" للزومها الاستقبال.[1]

وما يهمّنا من هذا الخلاف هو ما يعطيه من معنى في الآية الكريمة، فمعنى النصب، جواب النهي. ومعنى الجزم تكرير النهي، قال الطبري:((وفي قوله" فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ" وجهان من التأويل، أحدهما: أن يكون" فَتَكُونَا" في نيّة العطف على قوله "وَلَا تَقْرَبَا" فيكون تأويله حينئذ ولا تقربا هذه الشجرة ولا تكونا من الظالمين، والثاني: أن يكون" فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ" بمعنى جواب النهي، فيكون تأويله حينئذ لا تقربا هذه الشجرة فإنّكما إن قربتما كنتما من الظالمين، كما تقول: لا تشتم عمرا فيشتمك، مجازاة)).[2]

وعلى ذلك تحمل الآية على الوجهين ولا يمكن قصرها على وجه واحد، ولكن ذكر الشيخ الطوسي أنّ النصب أقوى، قال:((وقوله "فَتَكُونَا" يحتمل أن يكون جوابا للنهي فيكون موضعه نصبا، وهو الأقوى، ويحتمل أن يكون عطفا على النهي، فيكون موضعه جزما، وكلاهما جيّد محتمل)).[3] ، وأنت تلاحظ أثر النحو في توجيه معنى الآية الكريمة، فمن نصب أراد: أنّ كونه من الظالمين مترتّب على قربه من الشجرة، ومن جزم أراد: تكرير النهي فالله تعالى ينهى الإنسان عن قرب الشجرة وينهاه عن الظلم كذلك.

وبقي أن نشير إلى معنى القرب المنهي عنه في الآية الكريمة بقوله "وَلَا تَقْرَبَا" ومعناه الأكل، وليس المراد به مجرّد القرب من الشجرة، قال السيّد مصطفى الخميني: ((ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين،كناية عن الأكل منها، وليس مجرّد القرب عصيانا)).[4]

ولهذه الآية نظائر كثيرة في القرآن تكاد تشكّل ظاهرة مطّردة، يقول الدكتور قيس الآوسي: ((وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم جاء المضارع التالي للفاء الواقع بعد "لا" الناهيّة، يحتمل أن يكون منصوبا جوابا للنهي، وأن يكون مجزوما عطفا على النهي)).[5]

ومن هذه الآيات قوله تعالى:﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾.[6]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾.[1]، وقوله:﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ

3- جامع البيان،الطبري:234/1.
4- التبيان،الطوسي:159/1.

1- مفتاح أحسن الخزائن الإلهيّة،السيّد مصطفى الخميني:485/5.
2- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين،قيس إسماعيل الآوسي:.473،474
3- سورة النساء،من الآية/.129
4- سورة طه،من الآية/.61
5- سورة طه،من الآية/.81
6- سورة الأحزاب،من الآية/32.

غَضَبِي﴾.[2]، وقولـه:﴿إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾.6، وغيرها من آيات الكتاب العزيز.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة أيضا:﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[3]

فقولـه تعـالى " تَكْتُمُـوا " يحتمـل النصـب والجـزم، قـال الفـرّاء: ((إن شـئت جعلـت " وَتَكْتُمُوا " في موضع جزم، تريد به: ولا تلبسوا الحقّ بالباطل ولا تكتموا الحقّ، فتلقى "لا" لمجيئها في أوّل الكلام. وفي قراءة أبي: "ولا تكونوا أوّل كافر به وتشتروا بآياتي ثمنا قليلا"، فهذا دليل على أنّ الجزم في قوله: " وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ " مستقيم صواب، ومثله: " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكّام ". وكذلك قوله: " يا أيّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ". وان شئت جعلت هذه الأحرف معطوفة بالواو على ما يقول النحويين من الصرف)).[4]

ومعنى الجزم أنّ الله سبحانه وتعالى نهاهم عن كتمان الحق، كما نهاهم عن أن يلبسوا الحقّ بالباطل، أي:لا تلبسوا الحق بالباطل، ولا تكتموا الحق،فيكون عطف جملة على جملة وكلاهما منهي عنه.

أمّا على معنى النصب، فيكون قوله " تكتموا " خبرا من الله عنهم بكتمانهم الحقّ الذي يعلمونه.[5]،وممّا يؤيّد هذه القراءة أنّ في مصحف ابن مسعود " وتكتمون " أي: وأنتم تكتمون، بمعنى كاتمين.4

فان قيل: لبسهم الحقّ وكتمانهم ليسا بفعلين متميّزين حتّى ينهوا عن الجمع بينهما،لأنّهم إذا لبسوا الحقّ بالباطل فقد كتموا الحقّ ؟ قال الزمخشري: ((بل هما متميّزان، لأنّ لبسهم

1- سورة البقرة،الآية/42.
الصرف:هو أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أوّله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها،فإذا كان كذلك فهو الصرف، ومنه قول الشاعر:
" لا تنه عن خلق وتأتي مثله " فلا يجوز هنا إعادة "لا" في " تأتي مثله " فلذلك سمّي صرفا.ينظر:معاني القرآن،الفرّاء:1/.34
2- معاني القرآن، الفرّاء:1/33.
3- ينظر:جامع البيان،الطبري:1/255،والتبيان،الطوسي:1/191،وجوامع الجامع،الطبرسي:1/99،والمقتصد في شرح الإيضاح،عبد القاهر الجرجاني:2/.1070
4- ينظر:الكشّاف،الزمخشري:1/133،وأنوار التنزيل،البيضاوي:1/313.

الحقّ بالباطل ما ذكرنا من كتابتهم في التوراة ما ليس منها، وكتمانهم الحقّ، أن يقولوا: لا نجد في التوراة صفة محمّد(صلى الله عليه وآله) أو حكم كذا،أو يمحوا ذلك أو يكتبوه خلاف ما هو عليه)).[1]،وهكذا نرى اختلاف الموقع الإعرابي وما يتطلّبه هذا الموقع من تغيّر في دلالة الآيات القرآنيّة، وبقي أن نعلم ما المراد بالحق الذي نهى الله سبحانه وتعالى عن لبسه وكتمانه ؟

قال ابن الجوزي: " وفي المراد من الحق قولان: أحدهما أنّه أمر النبي(صلى الله عليه وآله)، والثاني أنّه الإسلام)).[2]، وقال الفيض الكاشاني في تفسيره: ((الحقّ من نبوّة هذا وإمامة هذا)).[3]

ومن ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران:﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.[4]، حيث جاء قوله تعالى " يَتُوبَ " منصوبا فما الناصب له ؟ وما وجه النصب ؟

قال الرضي(ت406ه):((فأمّا ما انتصب عليه قوله تعالى:" أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ " فهو على ضربين: أحدهما، أن يكون عطفا على قوله: "ليقطع طرفا من أهل الذين كفروا أو يكبتهم ".ثمّ قال: " أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ "،فيكون ليس لك من الأمر شيء) اعتراضا بين

1- الكشّاف،الزمخشري:1/.132
2- زاد المسير:1/.74
3- تفسير الصافي:1/124.

1- سورة آل عمران،الآية/.128
2- حقائق التأويل،الشريف الرضي:236،237،وينظر:أمالي المرتضى:1/628،وجوامع الجامع،الطبرسي:1/.326
3- ينظر:أمالي المرتضى:1/628.

المعطوف والمعطوف عليه، كما يقول القائل: ضربت زيدا _ فافهم _ وعمرا. والوجه الثاني: أن تكون " أو" هي التي بمعنى(إلاّ أن) ، فكأنّه قيل له: ليس لك من الأمر شيء إلاّ أن يتوب أو يعذّبهم ، فيكون أمرك تابعا لأمر الله تعالى في ذلك، لرضاك بمصارف أقداره ومواقع تدبيره، أو يكون بمعنى " حتّى"،كأنّه قال: حتّى يتوب عليهم أو يعذّبهم، كما يقول القائل: لا أزال ملازمك أو تعطيني ديني، أي حتّى تعطيني ديني)).[1]

وأنت تلاحظ التغيّر الدلالي تبعا لتغيّر وجه النصب، ففي الوجه الأوّل وهو العطف يكون المراد، أنّه تعالى عجّل النصر للمؤمنين ليقطع طرفا من الذين كفروا، أي قطعة منهم، وطائفة من جمعهم، أو يكبتهم، أو يغلبهم ويهزمهم بكم، فيخيب سعيهم، أو يعظهم ما يرون من تظافر آيات الله ،الموحية لتصديق نبيّه (صلى الله عليه وآله) فيتوبوا ويؤمنوا، فيقبل الله ذلك منهم ويتوب عليهم.[2]، أمّا إذا كانت " أو" بمعنى "إلاّ أن" ففيه إيحاء بالارتباط بالمولى تبارك وتعالى ، فكأنّ هناك تسليم مطلق إلى الله تعالى، ورضا بما شاء، أمّا إذا كانت " أو" بمعنى "حتّى" فالمراد: ليس لك من الأمر من شيء حتّى يتوب الله عليهم أو يعذّبهم. وجاء في تفسير كنز الدقائق:((يتوب عليهم أو يعذّبهم، إمّا عطف على "يكبتهم" والمعنى أنّ الله مالك أمرهم، فإمّا أن يهلكهم أو يكبتهم، أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذّبهم إن أصرّوا، وليس لك من أمرهم شيء، وإنّما أنت عبد مأمور لإنذارهم وجهادهم)).[3]

وهكذا نلاحظ أثر الموقع الإعرابي في توجيه المعاني، وما يضفيه من تغيّر في دلالة الآية الكريمة، ممّا يعطي ثراءا دلاليّا للنص اللغوي القرآني يقلّ نظيره في غيره من النصوص اللغويّة، وهذا سرّ من أسرار الإعجاز القرآني.

وممّا احتمل النصب والجزم قوله تعالى في سورة الأنعام:﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.[4]

فقوله " تُشْرِكُوا"، يجوز فيه النصب والجزم، قال الطبري:((وأمّا أن في قوله (أن لا تشركوا به شيئا) فرفع لأنّ الكلام، قل تعالوا أتل ما حرم ربّكم عليكم هو أن لا تشركوا به شيئا،وإذا كان ذلك معناه، كان في قوله "تشركوا" وجهان الجزم بالنهي، وتوجيهه لا إلى معنى النهي، والنصب على توجيه الكلام إلى الخبر ونصب تشركوا بألاّ، كما يقال: أمرتك

1- كنز الدقائق،الميرزا محمّد المشهدي:2/.221
2- سورة الأنعام،الآية/.151
3- جامع البيان،الطبري:8/.81،82
4- ينظر:أمالي المرتضى:2/355.

أن لا تقوم)).[1]، وأن هذه التي عدّها الطبري "رفع" قيل فيها وجهان غير الرفع هما، الأوّل: النصب على تقدير: أوصى أو أتل ألاّ تشركوا.والثاني: ألاّ يكون لها موضع، ويكون المعنى:لا تشركوا به شيئا.[2]

وما يهمّنا هو بيان معنى تشركوا على الوجهين: النصب والجزم، ومعناه على النصب هو الإخبار، كما بيّن ذلك الطبري في النص السابق،فيكون المراد:تعالوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم، فأخبرهم بـ " أَلَّا تُشْرِكُوا".

أمّا الجزم فمعناه النهي، حرّم عليكم ألاّ تشركوا، وهنا يرد إشكال في الآية أنّه كيف يكون من جملة ما حرّم الله علينا أن لا نشرك به شيئا، والأمر بالعكس من ذلك ؟

وأجاب على هذا الإشكال الشريف الرضي(ت436ه) بإضمار متعلّق هو ما أوصاكم "ألاّ تشركوا به شيئا" أو "أتل عليكم" ألاّ تشركوا. وقال: ((الإضمار الأوّل يشهد له آخر الآية في قوله تعالى" ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"، والإضمار الثاني يشهد له أوّل الآية من قوله" أتل"، وما وصّانا به فقد أمرنا به وندبنا إليه)).[3]

أمّا "لا" فهي على النصب تكون زائدة فتؤوّل "أن والفعل" بمصدر هو الإشراك،فيكون المعنى، حرّم ربّكم عليكم الإشراك، ويحتمل أن تكون نافية.أمّا في حالة الجزم فـ "لا" ناهية.قال الزركشي: ((قيل "لا" زائدة ليصحّ المعنى،لأنّ المحرّم الشرك،وقيل نافية أو ناهية)).[4]

ورجّح الدكتور مصطفى النحّاس أن تكون "لا" نافية هنا قال: ((وإذا نظرنا إلى السياق في الآية وجدنا أن "لا" قد اقترنت بـ "أن"،وسبق أن بيّنا أن "لا" كثيرا ما تركّب مع "أن" لنفي (أن يفعل) وهذا يرجّح كونها نافية هنا)).[5]

وهناك وجه أخر في الآية هو أنّ الكلام قد تمّ عند قوله تعالى: "حرّم ربّكم"، ثمّ ابتدأ بقوله: "عليكم ألاّ تشركوا به".فيكون المعنى :تعالوا أتل الذي حرّم ربّكم، ثمّ ابتدأ: "عليكم ألاّ تشركوا" أي الزموا عدم الإشراك.[6]

ومن هنا ندرك مدى دقّة التعبير النحوي القرآني الذي لا يمكن القطع بحمله على وجه واحد، وكذلك نرى سعة الدلالة النحويّة التي تلمسّناها من خلال النصوص اللغويّة القرآنيّة.

1- أمالي المرتضى:2/.355.
2- البرهان في علوم القرآن،الزركشي:3/.81
3- دراسات في الأدوات النحويّة،مصطفى النحّاس:.180
4- ينظر:أمالي المرتضى:355/2،والتبيان،العكبري:265/1،ودور الوقف في خدمة النص القرآني،إسماعيل أحمد الطحّان:399.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[1]، وهو ممّا يحتمل النصب والجزم،قال الفرّاء: ((إن شئت جعلتها جزما على النهي،وان شئت جعلتها صرفا ونصبتها)).[2]

وما يهمّنا هو دلالة الوجهين في الآية الكريمة، فعلى الأوّل وهو الجزم يكون المعنى أنّ الله سبحانه وتعالى ينهى المؤمنين عن خيانته وخيانة الرسول(صلى الله عليه وآله) وخيانة الأمانات، ويكون الفعل الثاني مجزوما بـ "لا" الناهية المحذوفة لدلالة الأولى عليها.

أمّا على النصب، فيكون المعنى كما في قول الشاعر[3]:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم.

وهنا يرد سؤال: ما المراد بخيانة الله تبارك وتعالى، خاصّة إذا علمنا أنّ الخيانة لا تكون إلاّ مع العهد، فما هو العهد ؟ وكيف تكون خيانة الله ؟ وللجواب عن ذلك أقول:

نعم هناك عهد بين الله تعالى والإنسان،قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.[4]،على اختلاف المراد بالعهد، أمّا خيانة الله فهي يمكن أن تحتمل عدّة وجوه هي:

أوّلا: إنّ الله ذكر لنا في سورة البقرة غاية من غايات خلق الإنسان، وهي الخلافة إذ قال:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.[5]، وبناءً على ذلك لا بدّ أن يراعي الإنسان حقّ الخلافة ويؤدّي دوره بالصورة الصحيحة و إلاّ كان خائنا لأمانة الله تبارك وتعالى.

ثانيا: إنّ الله تعالى أنزل القرآن هدى للناس، وجعل فيه تبيانا لكلّ شيء فمن استمسك بالقرآن فقد راعى أمانة الله، ومن ابتعد عن نهجه القويم فقد خان الأمانة.

ثالثا: إن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان من أجل عبادة الله تبارك وتعالى، قال:﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾.[6] فمن لم يعبد الله، فقد خان الأمانة.

1- سورة الأنفال،الآية/.27

2- معاني القرآن،الفرّاء:408/1،وينظر:مشكل إعراب القرآن،مكّي بن أبي طالب:313/1،314،والتبيان في إعراب القرآن،العكبري:6./2

3- ينظر:جامع البيان،الطبري:222/9،223،والبيت من ديوان أبي الأسود:165.

4- سورة الإسراء،من الآية/34.

1- سورة البقرة،من الآية/30.

2-

رابعا: إن الله تبارك وتعالى أراد من الإنسان اعمار الأرض وعدم الفساد فيها، فمن أفسد في أرض الله فقد خان أمانة الله تعالى. وغيرها من الوجوه التي يمكن أن تندرج تحت عنوان خيانة الله.

الدلالة النحويّة في القراءات القرآنيّة:

ورد الفعل المضارع في القرآن الكريم بآيات كثيرة، وقد قرىء بقراءات متعددة، منها ما قرىء بالرفع والنصب، ومنها ما قرىء بالرفع والجزم، ومنها ما قرىء بالنصب والجزم، ومنها ما قرىء بالرفع والنصب والجزم، وهذا المبحث معقود لبيان دلالة الفعل المضارع النحويّة في القراءات القرآنيّة.

أوّلا: الفعل المضارع بين الرفع والنصب:

فقد قرئت آيات كثيرة برفع المضارع ونصبه، وأوّل ما يطالعنا في هذا المجال قوله تعالى في سورة البقرة:﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[1]،فقوله "يكون" قرىء بالرفع والنصب،قال ابن مجاهد: ((واختلفوا في قوله "كن فيكون" في نصب النون وضمّها، فقرأ ابن عامر وحده "كن فيكون" بنصب النون،قال أبو بكر وهو غلط، وقرأ الباقون "فيكون" رفعا)).[2] ، والقراءة بالرفع رسم المصحف.

فما وجه الرفع والنصب في الآية الكريمة؟ قال الفرّاء: ((رفع ولا يكون نصبا، إنّما هي مردودة على "يقول" (فإنّما يقول فيكون))).[3]

والظاهر من النص أنّ وجه الرفع هو العطف على يقول، أمّا النصب فمردود عند الفرّاء ، وقد سبق أن نسبه أبو بكر إلى الغلط في نصّ ابن مجاهد، وقال الأخفش:(("وإذا

1- سورة البقرة،الآية/.117

2- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:169،وينظر:حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.111

3- معاني القرآن،الفرّاء:1/.74،75

4- معاني القرآن،الأخفش:109.

قضى أمرا...." فرفعه على العطف، كأنّه إنّما يريد أن يقول: "إنّما يقول له كن فيكون"، وقد يكون رفعه أيضا على الابتداء)).[1]

وبذلك نرى أنّ معنى الرفع هو العطف على يقول، أي: يقول فيكون، أو الاستئناف، أي: فهو يكون، واليه ذهب ابن هشام في المغني.[2]، وقد فسّر ابن أبي زرعة قراءة ابن عامر بالنصب، بأنّه ذهب إلى أنّه أمر، قال: ((كأنّه ذهب إلى أنّه الأمر، تقول: أكرم زيدا فيكرمك)).[3]، وهذا التفسير لا يمكن حمله على الآية الكريمة، لفساد المعنى، لأنّه على النصب يصبح معنى الآية أنّ "فيكون" ناتج عن قول الله تعالى "كن" ولا بدّ من قول حتّى يكون الشيء المراد، وهذا غير وارد على الله تعالى، فلا يتعلّق حدوث الأشياء لديه بالقول مطلقا. وهنا قد يسأل سائل: أو ليس ظاهر الآية يشير إلى ذلك ؟ نقول: نعم قد يفهم منها ذلك، ولكن ليس مراد الله تعالى في هذه الآية أن يبيّن لنا كيفيّة حدوث الأشياء إذا أرادها، وإنّما أراد أن يقرّب لنا الصورة بأقرب ما يمكن فخاطبنا بأقصى ما يمكننا تصوّره والتعجّب منه، وهو (أن تقول لشيء إذا أردت حدوثه "كن" فيكون) ألا ترى أنّه كبير علينا أن يحصل ذلك. أمّا حدوث الأشياء بالنسبة إليه فانه لا يحتاج إلى قول ولا إلى كن حتّى يحدث،والله العالم بالصواب، ومن هنا تكون قراءة الرفع أولى في الآية الكريمة من النصب، وهي الأصحّ والأدقّ في تأدية المعنى المطلوب، وربّما رجّح ذلك كثرة القراءة بالرفع.

وممّا تنبغي الإشارة إليه أنّ لهذه الآية نظائر في القرآن الكريم، وهي ممّا اختلف فيها بين الرفع والنصب أيضا، قال الأزهري:((اتفق القرّاء على رفع النون من قوله: "فيكون" في جميع القرآن، إلا ابن عامر وحده فانه قرأ: "فيكون" بالنصب في جميع القرآن،إلا في ثلاثة مواضع، موضعين في أوّل آل عمران، قوله: "فيكون طيرا" بالرفع، وقوله: "فيكون الحقّ من ربّك"، والثالث في الأنعام، قوله: "ويوم يقول كن فيكون قوله الحق" بالرفع، وتابع الكسائي ابن عامر في موضعين، رأس أربعين من النحل "فيكون"، وآخر يس "فيكون")).[4]

ومن ذلك قوله تعالى:﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.[5]، فقوله

1- ينظر:مغني اللبيب،ابن هشام الأنصاري:1/.223

2- حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.111

3- معاني القراءات،الأزهري:61،وينظر في توجيه هذه القراءات: معاني القرآن،100/2، والمقتضب،المبرّد:17/2.

1- سورة البقرة،الآية/.214

2- السبعة في القراءات، ابن مجاهد:181.

تعالى "يقول" قرئ بالرفع والنصب، قال ابن مجاهد: ((واختلفوا في نصب اللام ورفعها من قوله " حَتَّى يَقُولَ" فقرأ نافع وحده "حتّى يقول" رفعا، وقرأ الباقون "حتّى يقول نصبا، وقد كان الكسائي يقرؤها دهرا رفعا ثمّ رجع إلى النصب)).[1] والقراءة بالنصب رسم المصحف.

ومن المسلّم به أن يكون توجيه الآية على قراءة الرفع مختلفا عن قراءة النصب، ولكلّ قراءة حجّتها وتوجيهها، قال الفرّاء:((ولها وجهان في العربيّة نصب ورفع ،فأمّا النصب فان الفعل الذي قبلها ممّا يتطاول كالترداد، فإذا كان الفعل على ذلك المعنى نصب بعده بـ "حتّى" وهو في المعنى ماض، فإذا كان الفعل على ذلك الذي قبل حتّى لا يتطاول، وهو ماض رفع الفعل بعد حتّى إذا كان ماضيا)).[2]

وهذا النص توجيه نحوي لرفع الفعل أو نصبه بعد "حتّى"،وذكر لنا ابن خالويه حجج من قرأ بالرفع والنصب قال:((فالحجّة لمن رفع أنّه أراد بقوله "وزلزلوا" المضي، وبقوله "حتّى يقول" الحال، ومنه قول العرب: قد مرض زيد حتّى لا يرجونه، فالمرض قد مضى، وهو الآن في هذه الحال. والحجّة لمن نصب أنّه لم يجعل القول من سبب قوله "زلزلوا"، ومنه قول العرب: قعدت حتّى تغيب الشمس، فليس قعودك سببا لغيبوبة الشمس،وتلخيص ذلك أنّ من رفع الفعل بعد حتّى كان بمعنى الماضي، ومن نصبه كان بمعنى الاستقبال)).[3]

وبناءً على ما تقدّم من نصوص يتبيّن لنا أنّ معنى الرفع هو الحال، أي: زلزلوا فإذا الرسول في حال قوله، و يكون الزلزال قد مضى هنا والرسول في هذه الحال. ومعنى النصب: زلزلوا حتّى يقول الرسول "متى نصر الله" وليس القول من سبب الزلزلة هنا فيكون المراد:زلزلوا إلى أن يقول الرسول"صلى الله عليه وآله".[4]

قال الزمخشري: ((بالنصب على إضمار (أن) ومعنى الاستقبال لأنّ (أن) علم له، وبالرفع على أنّه في معنى الحال، كقولك: شربت الإبل حتّى يجيء البعير يجرّ بطنه، إلاّ أنّها حكاية حال ماضية)).[5]، وبذلك نرى كيف أثّرت قراءة واحدة في استقطاب آراء علماء اللغة والمفسّرين بحيث توجّهوا يعلّلون ويبيّنون المعنى الوارد على هذه القراءة مستدلّين بما ورد عن العرب، وما أفادته هذه القراءة من معنى في الآية الكريمة ممّا يكشف عن دلالة المضارع النحويّة وأثر هذه الدلالة في السياق القرآني وهذا ما سيتّضح لنا بجلاء من خلال

3- معاني القرآن،الفرّاء:132/1،133،وينظر:معاني القراءات،الأزهري:.75
4- الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:96.

1- ينظر: المقتضب،المبرّد:42/2،والمقتصد في شرح الإيضاح،الجرجاني:1084/2،وحاشية الصبّان:3/.299
2- الكشّاف،الزمخشري:257/1.

النصوص القرآنيّة التي سنتناولها في هذا المبحث إن شاء الله تعالى وهي ممّا يكشف عن دلالة الفعل المضارع النحويّة.

ومن سورة البقرة ننتقل إلى سورة الحج فيطالعنا قوله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.[1]

فقوله "نقرّ" ممّا قرىء بالرفع والنصب، وقراءة النصب منسوبة إلى ابن أبي عبلة، وعاصم فيما رواه عنه المفضّل، والقراءة بالرفع رسم المصحف.[2]، ووجه الرفع هو استئناف للكلام ولم يردّه على الأوّل قال سيبويه: ((" لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ" أي ونحن نقرّ في الأرحام،لأنّه ذكر الحديث للبيان ولم يذكره للإقرار)).[3] ، وقال الفرّاء: ((وقوله " لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ" استأنف (ونقرّ في الأرحام) ولم يردّها على (لنبيّن) ولو قرئت(ليبيّن) يريد الله ليبيّن لكم كان صوابا ولم أسمعها)).[4] ، والى هذا التوجيه ذهب الأخفش والمبرّد.[5]

1- سورة الحج،الآية/.5
2- ينظر الكشّاف،الزمخشري:144/3،والجامع لأحكام القرآن،القرطبي:11./12
3- الكتاب،سيبويه:53./3
4- معاني القرآن،الفرّاء:216./2
5- ينظر:معاني القرآن،الأخفش:109،والمقتضب،المبرّد:34/2.

وبناءً على هذا يكون معنى القراءة بالرفع إخبار من الله تبارك وتعالى بأنه يقرّ في الأرحام ما يشاء ، وهي مرجّحة عند النحاة، فقد نقل النحّاس (ت388هـ)عن ابن أبي إسحاق قوله: (("ونقرّ" بالرفع لا غير، لأنّه ليس المعنى فعلنا ذلك لنقرّ في الأرحام ما نشاء لأنّ الله جلّ وعزّ لم يخلق الأنام ليقرّ في الأرحام ما يشاء، وإنّما خلقهم ليدلّهم على الرشد والصلاح)).[1]

أمّا القراءة بالنصب فهي بالعطف على "يبيّن"،قال الزمخشري: ((والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل، ومعناه: خلقناكم مدرّجين هذا التدرّج لغرضين، أحدهما: أن نبيّن قدرتنا، والثاني: أن نقرّ في الأرحام من نقرّ)).[2]، وبذلك يكون معنى القراءة بالنصب، أنّا خلقناكم من تراب ثمّ نطفة ....الخ ، لنبيّن لكم، ولنقرّ في الأرحام ما نشاء، أي: إن الخلق للتبيين والإقرار.

أمّا القراءة بالرفع فالمعنى فيها، خلقناكم لنبيّن، فالخلق للتبيين، ونحن نقرّ في الأرحام ما نشاء كلام منقطع عمّا قبله مستأنف، فهو لبيان حالهم بعد تمام الخلق، قال أبو السعود: ((" ونقرّ" استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم، وعدم نظم هذا وما عطف عليه في سلك الخلق المعلّل للتبيين مع كونهما من متمّماته، ومن مبادىء التبيين أيضا،لما أن دلالة الأوّل على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه أجلى وأظهر أي ونحن نقرّ في الأرحام بعد ذلك ما نشاء أن نقرّه فيها)).[3]

ومنه أيضا قوله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.[4]

1- إعراب القرآن،النحّاس:2/.390
2- الكشّاف،الزمخشري:145/3،وينظر:إرشاد العقل السليم،أبي السعود:6/.94
3- إرشاد العقل السليم،أبي السعود:94/6.

1- سورة لقمان،الآية/.6
2- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:512،وينظر:أنوار التنزيل، البيضاوي:4/.345
3- ينظر:الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:284،ومشكل إعراب القرآن،مكي بن أبي طالب القيسي:2/.564
4- ينظر:إعراب القرآن،النحّاس:2/.600
5- جامع البيان،الطبري:64/21.

فقوله: "يتّخذها" ممّا قرىء بضمّ الذال وفتحها، قال ابن مجاهد:((واختلفوا في الرفع والنصب من قوله " يتّخذها هزوا"، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر، "ويتّخذها هزوا" رفعا، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم " ويتّخذها" بالنصب)).[1]

والقراءة بالنصب رسم المصحف، ومن الطبيعي تغيّر المعنى تبعا لتغيّر الإعراب في الفعل، فالحجّة لمن رفع أنّه ردّه على قوله "ليشتري"، والوجه أن يضمر لها هو لأنّ الهاء والألف كناية عن السبيل، والحجّة لمن نصب أنّه ردّه على قوله ليضلّ عن سبيل الله وليتّخذها هزوا.[2]، أمّا القراءة بالرفع فهي على وجهين: أحدهما أن يكون قوله "ويتّخذها" معطوفا على يشتري، والآخر، أن يكون مستأنفا، أمّا قراءة النصب فهي بالعطف على "ليضلّ".[3]، والمعنى المتحصّل من القراءتين هو: إنّ معنى القراءة بالرفع، من الناس من يشتري لهو الحديث لكي يضلّ الناس، ويتّخذ آيات الله هزوا، فهو يشتري لهو الحديث، ويتّخذ آيات الله هزوا، أمّا القراءة بالنصب، فجعلت الإضلال والاتخاذ مسببان عن الشراء، فهو يشتري لهو الحديث ليضلّ وليتّخذ، ويمكن حمل الآية على كلا المعنيين، قال الطبري: ((والصواب من القول في ذلك أنّهما قراءتان معروفتان في قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب)).[4]

ثانيا:الفعل المضارع بين الرفع والجزم:

ومنه قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿مَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.[5]

فقوله "يذرهم" قرىء بالوجهين، الرفع والجزم، قال الأزهري: ((قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر" ونذرهم بالنون والرفع ، وقرأ حمزة والكسائي " ويذرهم" بالياء والجزم، وكذلك روى هبيرة عن حفص عن عاصم، وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب "ويذرهم" بالياء والرفع)).[6] ، وتوجيه القراءة بالجزم على العطف على ما بعد الفاء حملا على الموضع، قال سيبويه:((وقد بلغنا أنّ بعض القرّاء قرأ: " مَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ

1- سورة الأعراف،الآية/.186.
2- معاني القراءات،الأزهري:.194
3- الكتاب،سيبويه:3/.9
4- ينظر:معاني القراءات،الأزهري:.194
5- مجمع البيان،الطبرسي:401/4،وينظر:التوجيه النحوي للقراءات القرآنيّة في تبيان العكبري،قاسم محمّد أسود:52.

وَيَذَرُهُمْ " ، وذلك لأنّه حمل الفعل على موضع الكلام،لأنّ هذا الكلام في موضع يكون جوابا، لأنّ أصل الجزاء الفعل، وفيه تعمل حروف الجزاء، ولكنّهم قد يضعون في موضع الجزاء غيره)).[1]

فوجه الجزم هو الحمل على ما بعد الفاء إذ لو كان فعلا لجزم لأنّه جواب،فجزم الثاني بالعطف على محلّ الأوّل، والمعنى: من يضلل الله يذره في طغيانه عامها، أي متحيّرا.[2]

أمّا الرفع فعلى الاستئناف، قال الطبرسي: ((من قرأ بالنون فالتقدير: وإنّا نذرهم، ومن قرأ بالياء ردّه إلى اسم الله تعالى، أي وهو يذرهم، ويكون مقطوعا عن الأوّل على الوجهين ولم يكن جوابا)).[3]

وبذلك يكون معنى الآية على القراءة بالرفع هو: من يضلل الله فلا هادي له، ثمّ قال: وهؤلاء الذين أضلّوا الله تبارك وتعالى يذرهم الله في طغيانهم يعمهون. ووجه هذه القراءة العطف على ما بعد الفاء، وهو الأجود عند الأخفش، قال في معاني القرآن: ((ومن رفعها على أن يعطفها على ما بعد الفاء فهو أجود وهي قراءة)).[4]

وممّا قرىء بالوجهين أيضا قوله تعالى في سورة الكهف:﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾.[5]

قال ابن مجاهد:((كلّهم قرأوا "ولا يشرك"بالياء والرفع،غير ابن عامر فانه قرأ " ولا تشرك" بالتاء جزما)).[6] ، والقراءة بالرفع رسم المصحف، واحتجّ من قرأ بالياء والرفع بأنّ ذلك خبر عن الله تعالى، و "لا" بمعنى ليس، أمّا من قرأ بالتاء والجزم، فاحتجّ بأنّه خطاب للرسول(صلى الله عليه وآله) والمراد به غيره، و "لا" للنهي فجزم بها.[7]

والمعنى على القراءة بالرفع أنّه خبر عن الله تعالى بأنّه لا يشرك في حكمه أحدا، أي إن الآية نفت أن يكون للخلق وليّا غير الله تبارك وتعالى، ثمّ بيّنت أنّ الله تعالى لا يشرك في حكمه أحدا. أمّا القراءة بالجزم فالمعنى فيها على النهي، وتحوّل الخطاب في الآية الكريمة، فقوله " مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ " حديث عن الغائب ثمّ تحوّل النظم القرآني إلى الخطاب، فقال: "ولا تشرك"، بالجزم وهو نهي عن الإشراك بالله تعالى.

1- معاني القرآن،الأخفش:.55

2- سورة الكهف،الآية/.26

3- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:390،وينظر:الكشّاف،الزمخشري:716/2،ولكنّه نسب القراءة بالجزم إلى الحسن.

4- ينظر:الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:223،وحجّة القراءات،ابن أبي زرعة:415.

قال أبو منصور: ((من قرأ بالتاء وجزم الكاف فعلى النهي، والنهي مجزوم. ومن قرأ "ولا يشرك " فالمعنى أنّه جرى ذكر علمه وقدرته، فأعلم عنه أنّه لا يشرك في حكمه ما تفرّد به من علم الغيب أحدا)).[1]
ومن هنا نفيد من القراءتين معنى لطيفا هو في الأولى إخبار عن الله تعالى بأنّه لا يشرك في حكمه أحدا، فالآية نفت عن إشراكه غيره في حكمه، أمّا الثانيّة فتنهى عن أن يشرك الإنسان أحدا في حكم الله تبارك وتعالى، قال أبو عمرو الداني(ت444ه):
((بالتاء والجزم على النهي، "ولا يشرك" بالياء والرفع على النفي)).[2] ، وكلا المعنيين ممّا يمكن الأخذ به في توجيه معنى الآية الكريمة، ولا تعارض بينهما، وهذا من بديع نظم القرآن وسعة تعبيره، أن تكون فيه هذه القراءات التي تعطي مجالا دلاليّا رحبا تترشّح منه أنوار التعبير القرآني على قلوب عشّاق اللغة القرآنيّة ممّا يكشف لنا عن دلالة الفعل المضارع النحويّة خصوصا وإشعاع هذه الدلالة على السياق القرآني عموما في القرآن الكريم.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة مريم "عليها السلام" :﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.[3]

1- معاني القراءات،الأزهري:.267
2- الأحرف السبعة،لأبي عمرو الداني:39.

1- سورة مريم،الآيتان/.5،6
2- معاني القراءات،الأزهري:281،وينظر:حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.438
3- ينظر:الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:.235
4- إعراب القرآن،النحّاس:2/.303
5- ينظر:إعراب القرآن،النحّاس:303/2،وحجّة القراءات،ابن أبي زرعة:438.

فقوله تعالى " يرثني ويرث " ممّا قرىء بالرفع والجزم،قال الأزهري: ((قرأ أبو عمرو والكسائي "يرثني ويرث" بالجزم فيهما معا، وقرأ الباقون " يرثني ويرث " بالرفع فيهما)).[1]، ويلاحظ اختلاف المعنى تبعا لاختلاف الإعراب، فمن جزم جعله جوابا للأمر، والتقدير: فان تهب لي وليّا يرثني، أمّا من رفع فجعله صفة للولي.[2]

والمعنى على قراءة الرفع أنّ " يرثني ويرث " صفتان لهذا الولي الذي أدعوك أن تهبه لي، وقد وصفت القراءة بالرفع بأنّها أولى في العربيّة، قال أبو جعفر(ت388ه):
((القراءة الأولى بالرفع أولى في العربيّة وأحسن، والحجّة في ذلك ما قاله أبو عبيد، فان حجّته حسنة، فان المعنى فهب لي من لدنك الولي الذي هذه حاله وصفته، لأنّ الأولياء منهم من لا يرث، فقال هب لي الذي يكون وارثي، وردّ الجزم، لأنّ معناه إن وهبته ورثني، فكيف يخبر الله جلّ عزّ بهذا، وهو أعلم به منه)).[3]
أمّا القراءة بالجزم، فهي على معنى جواب الأمر، وجواب الأمر فيه معنى الشرط،أي هب لي من لدنك وليّا إن وهبته ورثني، وقد ردّها أبو عبيد كما تبيّن في نصّ النحّاس، لأنّها إخبار لله تعالى بهذا، وهو العالم بكلّ شيء.[4]
ويمكن توجيه القراءة بالجزم على معنى، فهب لي من لدنك وليّا، إن تهبه يرثني، ولكن ليس على الإخبار، وإنّما على بيان حال زكريّا "عليه السلام"، الذي لا وارث له وهو يريده ويطلبه من الله تبارك وتعالى، كما تقول: "هب لي من لدنك مالا، إن وهبته سددت به ديني" مع علم المخاطب بالحال التي أنت عليها من الدين، وأظنّ أنّ فيه نوع من استعطاف المخاطب. وبذلك نفيد من القراءتين معنى مفيدا يمكن الأخذ به في توجيه الآية الكريمة،ممّا يظهر لنا أهميّة الموقع الإعرابي في بيان المعنى،وبالتالي أهميّة النحو ودلالته على تلك المعاني.

ومنه قوله تعالى في سورة طه:﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾.[5]، فقوله تعالى " تخاف " ممّا قرىء بالرفع والجزم، قال

1- سورة طه،الآية/.77
2- الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:245،وينظر:معاني القراءات،الأزهري:298.
3-الكتاب،سيبويه:98/3.
4- معاني القرآن،الفرّاء:187/2،والنصّان،الأول في سورة طه من الآية/132،والثاني في سورة أل عمران من الآية/111.

ابن خالويه: ((أجمع القرّاء على الرفع إلاّ حمزة فانه قرأه بالجزم على طريق النهي)).[1] ، والرفع على الاستئناف، والجزم على الجزاء، قال سيبويه: ((فالرفع على وجهين:على الابتداء، وعلى اضربه غير خائف ولا خاش)).[2] ، وقال الفرّاء:((وقوله " لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى "رفع على الاستئناف بلا، كما قال: " وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا " وأكثر ما جاء في جواب الأمر بالرفع مع "لا". وقد قرأ حمزة " لَا تَخَفُ دَرَكًا " فجزم على الجزاء، ورفع ولا تخشى على الاستئناف، كما قال " يُوَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ" فاستأنف بثمّ فهذا مثله، ولو نوى حمزة بقوله ولا تخشى الجزم وان كانت فيه الياء كان صوابا)).[3]

ومعنى القراءة بالرفع هو الاستئناف، والتقدير، اضرب لهم طريقا في البحر، وأنت لا تخاف ولا تخشى. أمّا قراءة الجزم فنهي عن الخوف، قال الأزهري: ((من قرأ "لا تخف" فهو نهي من الله لموسى عن الخوف كأنّه قال: لا تخف أنّه يدركك فرعون وجنوده بسوء، ولا تخش الغرق، ومن قرأ " لا تخاف " فانّ المعنى: لست تخاف دركا لأنّ فرعون يغرق قبل خروجه من البحر)).[4]

ومن هنا ندرك المعنى المتحصّل من القراءتين، وكيف أفادت كلّ قراءة معنى مقبولا، إلاّ أنّ القراءة بالرفع أبين، قال النحّاس: ((والقراءة الأولى أبين لأنّه بعده "ولا تخشى " مجمع عليه بلا جزم)).[5]، أمّا قوله تعالى "تخشى" فهو مرتبط بقوله "لا تخاف" فعلى رفع تخاف يكون معطوفا عليه مرفوعا أيضا،أمّا على الجزم ففيه تقديران ذكرهما النحّاس في إعرابه قال: ((فأمّا "ولا تخشى" إذا جزمت "ولا تخف" فللنحويين فيه تقديران:أحدهما وهو الذي لا يجوز غيره، أن يكون مقطوعا من الأوّل، مثل "يُوَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ". والتقدير الآخر، ذكره الفرّاء، أن يكون "ولا تخشى" ينوي به الجزم وتثبت فيه الياء)).[6]

وهنا ربّما يسأل سائل إن "تخشى معطوف على "تخف" وهو مجزوم، فكان ينبغي حذف الألف لأنّها علامة الجزم ؟ والجواب على ذلك ذكره ابن عصفور(ت669هـ) في

1- معاني القراءات،الأزهري:.299
2- إعراب القرآن،النحّاس:2/.351
3- المصدر نفسه،والصفحة نفسها.

الممتع بأنّه زعم بعض النحويين أنّ العرب قد تثبت الألف في الجزم ضرورة و استدلّوا على ذلك بقراءة حمزة لهذه الآية وبشواهد شعريّة.[1] ، وقيل إنّ هذه الألف ليست منقلبة عن الياء التي هي لام الفعل، ولكنّها زيدت للإطلاق من أجل الفاصلة.[2]

ومن هنا ندرك أثر قراءة واحدة في توجيه معنى الآية الكريمة، وكيف أثّرت في السياق القرآني نفسه بحيث ارتبطت بفعل آخر يكون توجيهه بحسب توجيه القراءة.

ثالثا:الفعل المضارع بين النصب والجزم:

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[3]

فقوله تعالى : (ليحكم) قرىء بالنصب والجزم،قال الفرّاء: ((قرأها حمزة وغيره نصبا، وجعلت اللام في جهة كي، وقرئت:(وليحكم) جزما على أنّها لام أمر، وقوله (إن أحكم) دليل على أنّ قوله (وليحكم) جزم لأنّه كلام معطوف بعضه على بعض)).[4]

1- ينظر:الممتع في التصريف،ابن عصفور:2/.538.
2- ينظر:الكشّاف،الزمخشري:3/78.

1- سورة المائدة،الآية/.47
2- معاني القرآن،الفرّاء:1/.313

والظاهر من النص أنّ القراءة بالنصب على كسر اللام (ليحكم) وهي على ذلك لام كي، أمّا القراءة بالجزم فاللام فيها لام الأمر والفعل مجزوم بها. ورسم المصحف بالجزم وتسكين اللام.

وقال ابن خالويه:((فالحجّة لمن أسكن أنّه جعلها لام الأمر فجزم الفعل بها وأسكنها تخفيفا، وان كان الأصل فيها الكسر، والحجّة لمن كسر أنّه جعلها لام كي فنصب الفعل بها، وتقدير الكلام وآتيناه الإنجيل ليحكم أهله بما أنزل الله فيه)).[1]

وعلى ذلك تكون القراءة بالنصب بمعنى (آتيناه الإنجيل ليحكم) أي أنزلنا عليه الإنجيل لكي يحكم أهله بما أنزل الله فيه، فالغاية من إنزاله هي الحكم. أمّا القراءة بالجزم فهي على سبيل الأمر، ودليله قوله تعالى بعده : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾.[2] فكما أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بالحكم بما أنزل عليه كذلك أمر (عيسى _عليه السلام_) بالحكم بما أنزل الله في الإنجيل.[3]

وكلا المعنيين ممّا يمكن الأخذ به في توجيه الآية الكريمة، ولذلك صوّب الطبري القراءتين، قال :((والذي يتراءى في ذلك أنّهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب فيه الصواب)). [4]

وممّا قرىء بالنصب والجزم قوله تعالى في سورة العنكبوت :﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.[5]، قال ابن مجاهد :((اختلفوا في كسر اللام وإسكانها من قوله تعالى "وليتمتّعوا"، فقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي "وليتمتّعوا" بكسر اللام)).[6] ورسم المصحف بكسر اللام.

وعلى قراءة الجزم تكون اللام للأمر، أمّا على قراءة الكسر فتكون لام كي، ولكلّ قراءة حجّتها، قال ابن خالويه:((فالحجّة لمن أسكن أنّه جعلها لام وعيد في لفظ الأمر كقوله تعالى : ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾. ولمن كسر وجهان،أحدهما : أن تكون لام الوعيد أجراها على أصلها فكسرها مع الواو، والآخر : أن تكون لام كي مردودة بالواو على قوله (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) فيكون الفعل بها منصوبا وبالأولى مجزوما)).4

ومعنى القراءة بالنصب على ذلك أنّ الفعل معطوف على قوله (ليكفروا) فيكون منصوبا واللام فيه " لام " كي. أمّا القراءة بالجزم فهي وعيد لهم من الله تبارك وتعالى.

3- الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:.131
4- سورة المائدة، من الآية/49.
5- ينظر:التبيان،الطوسي:541/3،ومجمع البيان،الطبرسي:345/3،والجامع لأحكام القرآن،القرطبي:6/.209
1- جامع البيان،الطبري:6/.359
2- سورة العنكبوت،الآية/.66
3- السبعة في القراءات،ابن مجاهد:502.
4-الحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:282.

قال الأزهري: ((هذه اللام هي لام الوعيد،بلفظ الأمر، والأجود فيها الإسكان إذا اتّصلت بالواو، وقد تكسر على الأصل،فيكون فيها الكسر على جهة "كي يتمتّعوا"))[1]، وممّا يقوّي القراءة بالجزم هو سياق الآية الكريمة،لأنّ الآية تقول : ليكفروا وليتمتّعوا فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ومآل متعتهم، ولا يمكن أن يأمر القرآن بالتمتّع على الحقيقة، وكذلك لقوله (فسوف يعلمون).

ولهذه الآية نظائر في القرآن الكريم قرئت بكسر اللام وإسكانها، منها قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[3]، في الحجّ أيضا، وقوله في سورة النور:﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾[4]، فهذه الآيات تقرأ بإسكان اللام على الجزم وبكسرها على النصب.

ومن ذلك قوله تعالى :﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.[5] فقوله تعالى:(أكن) قرىء بحذف الواو على الجزم وبإثباتها على النصب، وانفرد بهذه القراءة أبو عمرو[6]، وقراءة الجزم رسم المصحف.

فما الوجه في القراءتين، قال سيبويه :((سألت الخليل عن قوله عزّ وجلّ : " فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنْ الصَّالِحِينَ"، فقال هذا كقول زهير :

بدا لي أنّي لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا إذا كان جائيا.

فإنما أجروا هذا، لأنّ الأوّل قد يدخله الباء فجاءوا بالثاني وكأنّهم قد أثبتوا في الأوّل الباء، فكذلك هذا لمّا كان الفعل الذي قبله قد يكون جزما ولا فاء فيه تكلّموا بالثاني، وكأنّهم قد جزموا قبله، فعلى هذا توهّموا هذا))[7].

وتوجيه الخليل للجزم بأنّه على التوهّم،أي توهّم عدم وجود الفاء في الأوّل وجزم الثاني عطفا عليه، كما توهّم زهير وجود الباء في (مدرك) فجاء بـ (سابق) مجرورا وكأنّه

5-معاني القراءات،الأزهري:.372

1- سورة الحج، من الآية/15.

2- سورة الحج، الآية/29. ينظر في آيتي الحج: السبعة في القراءات،ابن مجاهد:178،والحجّة في القراءات السبع،ابن خالويه:474،وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين،د. قيس إسماعيل الأوسي:.148،149

3- سورة النور،من الآية/31. ينظر: السبعة في القراءات،ابن مجاهد:454،ومعاني القراءات،الأزهري:372.

4- سورة المنافقون،الآية /.10

5- ينظر: السبعة في القراءات،ابن مجاهد:637،وحجّة القراءات،ابن أبي زرعة:710.

6- الكتاب،سيبويه:3/100،101. والبيت في شعر زهير :169.

أثبت الباء في الأوّل. وهذا التوجيه للجزم لا يخلو من اعتراض، إذ إنّنا لو سلّمنا بتوهّم زهير في البيت الشعري، لا نسلّم بتوهّم القرآن، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،هذا من جانب.ومن جانب آخر، أظنّ أنّ الأولى أن يقاس كلام العرب على القرآن لأنّه أفضل نصّ لغويّ على الإطلاق في كلّ شيء، ولا يقاس القرآن على كلام العرب ولكن في كلام العرب السابق على القرآن تأصيل لأسلوب التعبير الوارد فيه.

وقد أشار إلى هذا التوجيه وأنكره الدكتور خليل بنيّان في كتابه (النحويون والقرآن)، قال : ((وأمّا أن يكون جزم (أكن) على توهّم أنّ الفاء غير موجودة في (فأصّدق) وأن يكون ذلك في كلام الله الذي هو قرآن مجيد في لوح محفوظ،محمولا على كلام قائل متوهّم من الناس ومحكوما على قوله بأنّه غلط، وأن يكون هذا التوهّم ولا فاصل بين الفعلين (فأصّدق وأكن) فهذا هو العجب المنكر حقّا)).[1]، وبيّن اختلاف الآية الكريمة عن بيت زهير، إذ جرّ (سابق) على توهّم وجود عامل غير موجود،وهو الباء، وليس في الآية عامل متوهّم وجوده، وإنما عطفه على محلّ (أصّدق)، وهو محلّ ثابت في الآية لكونه جواب طلب.[2]

وقال الفرّاء في حديثه عن الآية الكريمة: ((ردّت (وأكن) على موضع الفاء،لأنّها في محلّ جزم،إذ وقع موقعها بغير الفاء جزم،والنصب على أن تردّه على ما بعدها، فتقول: (وأكون) وهي قراءة عبد الله بن مسعود بالواو " وأكون" بالواو، وقد قرأ بها بعض القرّاء، قال: وأرى ذلك صوابا، لأنّ الواو ربّما حذفت من الكتاب كما في قوله تعالى: (سندع الزبانية)، وقوله:(ويدع الإنسان بالشرّ) والقراءة على نيّة إثبات الواو)).[3]

والظاهر من النص أن الجزم على محلّ الفاء إذ لو سقطت كان التقدير: أخّرني أصّدّق بالجزم، أمّا النصب فعلى العطف على ما بعد الفاء.

رابعا:المضارع بين الرفع والنصب والجزم:

ومنه قوله تعالى :﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[4]، فقوله (يكفّر) ممّا قرىء بالرفع والنصب والجزم، والقراءة بالرفع رسم المصحف،وبها قرأ،ابن كثير وأبو عمرو وعاصم،وقرأ بالجزم نافع وحمزة والكسائي،وقرأ الحسن بالنصب بإضمار أن فيما نقله الزمخشري في كشّافه.[5]

ووجه القراءة بالجزم العطف على موضع الفاء في قوله :" فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ"، وبالرفع على الاستئناف،قال أبو منصور:((من قرأ (نكفّر) جزما عطفه على موضع الجزم في قوله

1- النحويون والقرآن،خليل بنيّان:193.

2- ينظر:المصدر نفسه،والصفحة نفسها.

3-معاني القرآن،الفرّاء:87/1.وينظر: الكشّاف،الزمخشري:544/4،ونحو القرّاء الكوفيين: .58،59

1- سورة البقرة، الآية/.271

2- ينظر: السبعة في القراءات،ابن مجاهد:191، ومعاني القراءات،الأزهري:89،والكشّاف،الزمخشري:316/1.

:" فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ" لأنّ معناه : يكن خيرا لكم، ومن قرأ : (ونكفّر عنكم) بالنون والرفع، رفعه لأنّ ما بعد الفاء قد صار بمنزلته في غير الجزاء وهو اختيار سيبويه،كأنّه استئناف)).[1]، والمعنى على الرفع هو إن تخفوا الصدقات وتؤتوها الفقراء، فهو خير لكم، ويكفّر عنكم من سيّئاتكم، بالعطف على ما بعد الفاء، أو على أنّه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: ونحن نكفّر عنكم سيّئاتكم. وعلى النصب : إن تخفوها يكن خيرا لكم، وأن يكفّر عنكم.[2] ،أمّا معنى الجزم، فهو : إن تخفوا الصدقات وتؤتوها الفقراء نكفّر لكم سيّئاتكم فهو جواب الشرط.

وهذه المعاني الثلاثة يمكن الأخذ بها في توجيه معنى الآية الكريمة، إلا أنّ الجزم أبين المعاني عند ابن أبي زرعة، قال:((الجزم أولى ليخلص معنى الجزاء، ويعلم بأنّ تكفير السيّئات،إنما هو ثواب للمتصدّق عن صدقته،وجزاء له،وإذا رفع الفعل احتمل أن يكون ثوابا وجزاءا، واحتمل أن يكون على غير مجازاة وكان الجزم أبين المعنيين)).[3]

وبذلك يكون الجزم خالصا لمعنى الجزاء، أمّا الرفع فيمكن أن يكون ثوابا، وهذا ما يكشف لنا أهميّة الموقع الإعرابي الذي له الأثر الكبير في تأدية المعنى المطلوب.

ومن سورة الأعراف يطالعنا قوله تعالى:﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾.[4]

ممّا قرئ بالرفع والنصب والجزم، وقراءة الرفع مرويّة عن ابن عبّاس (رض)، وقراءة الجزم عن الحسن (رض) أمّا النصب فعليه جميع القرّاء.[5] وهو رسم المصحف.

واختلف في توجيه القراءة بالنصب، قال الأزهري:((واختلف النحويون في علّة نصبه، فقال الفرّاء: هو منصوب على الصرف، ومعناه الحال، وقال ابن الأنباري: كأنّه قال: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض في حال تركه إيّاك، وقال الزجّاج: نصبه ردّ على جواب الاستفهام بالواو، وقال ابن اليزيدي: نصبه على العطف على قوله: " لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ"))[6].

3- معاني القراءات،الأزهري:.89
4- ينظر: الكشّاف،الزمخشري:1/.316
5- حجّة القراءات،ابن أبي زرعة:.148
1- الأعراف/127.
2- ينظر:معاني القراءات،الأزهري:1/187،188، ومجمع البيان،الطبرسي:4/333، والكشّاف،الزمخشري:2/143.
3- معاني القراءات،الأزهري:187.
4-معاني القرآن،الفرّاء:1/391.
5- الكشّاف،الزمخشري:2/143.

أمّا وجه الرفع، فهو العطف على " أتذر"، قال الفرّاء: ((والرفع لمن أتبع آخر الكلام أوّله، كما قال الله عزّ وجلّ: " من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له "، بالرفع)).[1] ، وأمّا وجه الجزم فكأنّه قيل: يفسدوا، كما قرىء (وأكن من الصالحين): كأنّه قيل أصّدّق.[2]

والظاهر من التوجيهات الواردة في النصوص المتقدّمة، أنّ الوجهين، الأوّل والثاني أرجح من الوجه الثالث وهو الجزم، والمعاني المتحصّلة من القراءات الثلاث هي ما يأتي:

1. معنى النصب، هو جواب الاستفهام والتقدير: أيكون منك أن تذر موسى وقومه، وأن يذرك وآلهتك، أو العطف على (ليفسدوا)، والمعنى أتذره ليفسد ويذرك وآلهتك.[3]
2. معنى الرفع هو استفهام عن الحالتين، أي: أتذر موسى وقومه يفسدوا في الأرض ؟ ويذرك موسى وعبادتك التي أنت عليها ؟
3. أمّا معنى الجزم فهو على تقدير : أتذر موسى وقومه يفسدوا، ويذرك وآلهتك.

1- ينظر: مجمع البيان،الطبرسي:333/4.

الدلالة المعنويّة:

ترتبط دلالة المفردة في القرآن الكريم ارتباطا وثيقا بدلالة السياق القرآني، ومن الثابت أنّ لكلّ متكلّم واع مقاصد ودلالات ينشدها في تعبيره عن شيء معيّن، وهذه المقاصد والدلالات تتفاوت بحسب المنشيء لها، فتتضاءل بتضاؤله، وتشعّ نورا بإشعاعه، وممّا لا شكّ فيه أنّ القرآن مصدر الإشعاع والنور في كلّ شيء، والأصل في إشعاع نوره لغته التي انفردت وتميّزت عن كلّ كلام.

ونحن في هذا الفصل نحاول معرفة أسرار التعبير القرآني، ودلالاته التي ينشدها في تعبيره، وارتباط دلالة المفردة بالسياق، وكيفيّة مراعاته التعبير الفنّي الدقيق الذي تتجلّى فيه أنوار الدلالة وأسرار التعبير، وكلّ ذلك مرتبط بدلالة الفعل المضارع على وجه الخصوص لأنّه موضوع البحث، وان وجد شيء يرتبط سياقيّا مع بحثنا أشرنا إليه إتماما للفائدة.

ونحن نستوحي كلّ ذلك من آيات القرآن المباركات التي تشكّل أساس البحث، وهي الغاية المثلى في الدلالة، التي لا يرقى إليها كلام البلغاء ولا سجع الخطباء، كيف والقرآن يتحدّى بأن يؤتى بآية من مثله ويثبت العجز للجميع في ذلك ومن هنا نحن نعجز عن إدراك جميع مراميه، ولكن هذا لا يدعو إلى ترك البحث في أسراره، والكشف عن خفايا تعابيره، وإنّما علينا بذل الجهد ومضاعفته للوقوف على تلك الأسرار، والإفادة من تلك الأنوار، وكما يقال الخطوة الأولى من العبد والباقي على الرب.

دلالة اختيار صيغة المضارع:

إنّ الباحث المطّلع على لغة القرآن يجد أسرارا من التعبير تبهر العقول وتحيّر الألباب، ولذلك انفرد القرآن الكريم بأسلوبه الرائع الذي يراعي الاستعمال الدقيق للألفاظ، بل للحروف أيضا، فهو لا يستعمل الألفاظ اعتباطا وإنّما لكلّ شيء دلالته وقصده الذي يسعى القرآن إلى الإشارة إليه، وسنتعرّف في هذا المبحث – إن شاء الله تعالى – كيفيّة التوظيف القرآني لصيغة المضارع وارتباط ذلك بالسياق العام للآيات القرآنيّة الكريمة.

ونفتتح المبحث بقوله تعالى:﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.[1] ونلاحظ صيغة المضارع في الآية الكريمة " يستهزىء"، ونتساءل هل جاء ذلك عفو الخاطر ؟ أم

1-البقرة/.15

حسب مقاصد يرمي إليها القرآن الكريم ودلالة دقيقة ينشدها ؟ وان كان من داع لاستعمال صيغة المضارع فما هو ؟ خاصّة إذا علمنا أنّه عبّر بالصيغة الاسميّة في الآية التي قبلها بقوله: (إنّما نحن مستهزئون)، وله أن يقول مثلا " والله مستهزىء بهم "، فيوافق بين التعبيرين، ولكنّه عبّر بصيغة المضارع رعاية لمعنى دقيق يريد القرآن إثباته لهؤلاء، هو تجدّد الاستهـــزاء بهم ما داموا على تلك الحال الرديئة، قال الزمخشري:

((فان قلت: فهلاّ قيل (الله مستهزىء بهم) ليكون طبقا لقوله (إنّما نحن مستهزئون)، قلت: لأنّ يستهزىء يفيد حدوث الاستهزاء وتجدّده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة، وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتّك أستار وتكشّف أسرار)).[1]

فإيثار القرآن صيغة المضارع رعاية لهذا المعنى، وهو التجدّد وحدوث الاستهزاء حينا بعد حين، ولذلك عبّر بالصيغة الفعليّة التي تفيد التجدّد والحدوث.

وجاء في إشارات الإعجاز: ((ثمّ في " يستهزىء " مضارعا مع أنّ السابق " مستهزئون " اسم فاعل إشارة إلى أنّ نكايات الله تعالى وتحقيراته تتجدّد عليهم ليحسّوا بالألم ويتأثّروا به، إذا ما استمرّ على نسق يقلّ تأثيره بل ينعدم، ولذا قيل شرط الإحساس الاختلاف)).[2]

ومن هنا يتّضح لنا سبب استعمال القرّان لهذه الصيغة، وكيف وظّفها توظيفا دلاليّا في غاية الجمال، ممّا يبيّن لنا دلالة المضارع في القرآن الكريم خاصّة والصيغة الفعليّة عامّة.

وممّا يبيّن لنا ذلك قوله تعالى في سورة الحج:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾.[3]

فلا بدّ لهذا التحوّل من صيغة الماضي " أنزل " إلى صيغة المضارع " فتصبح " من دلالة يرمي إليها القرآن، ولم لم يقل: وأصبحت ؟ قال الزمخشري:((فان قلت: فهلاّ قيل: فأصبحت ؟ ولم صرف اللفظ إلى المضارع ؟ قلت: لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان)).[4]

ولهذا عدل القرآن عن استعمال صيغة الماضي إشعارا بالمعنى المقصود، وهو تجدّد الاخضرار، وهذا ما يشهد له واقع الحياة، فانّ الاخضرار يتجدّد باستمرار وغير منقطع التجدّد، فكأنّ إيراد القرآن لهذه الصيغة إيثارا لهذا المعنى، وقال الزركشي:((فعدل عن لفظ

2-الكشّاف،الزمخشري: ،وينظر:التفسير الكبير،الفخر الرازي:70/2،71،والإعجاز الصرفي في القرآن الكريم،عبد الحميد أحمد:118،119.

1-إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز،بديع الزمان النورسي:137،138.
2-الحج/.63
3-الكشّاف،الزمخشري:168/3.
4-البرهان،الزركشي:374/3، وينظر:تفسير النسفي:111/3.

أصبحت إلى تصبح قصدا للمبالغة في تحقيق اخضرار الأرض لأهميّته إذ هو المقصود بالإنزال)).[1] ، وهو تعليل آخر لإيراد صيغة المضارع، وهو معنى لطيف أيضا، وهذا شأن القرآن الكريم في أبهى دلالاته كما قال فيه أمير المؤمنين " عليه السلام ": ((بحر لا يدرك قعره)).[2]، ولننظر إلى سياق الآية الكريمة، فالآية ختمت بقوله: "إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ" فهل لهذه الخاتمة من دلالة خاصّة أم لا ؟ قال الزركشي: ((إنّما فصل بـ (لطيف خبير) لأنّ ذلك في موضع الرحمة لخلقه، بإنزال الغيث وإخراج النبات من الأرض ولأنّه خبير بنفعهم)).[3]، فكانت نهاية الآية الكريمة مناسبة لمضمونها الوارد أوّلا، فمقتضى لطف الله سبحانه وتعالى بعباده هو أن يرحمهم بماء يخرج لهم الطيّبات من الرزق وهو الخبير بذلك.

ومن الآيات التي تبيّن ذلك قوله تعالى في سورة فاطر:﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.[4]

ولننظر إلى صفة الرزق في الآية الكريمة، وكيف أنّ القرآن عبّر عن الصفة الثبوتيّة بـ اسم الفاعل (رازق)، وعن الصفة التجدّدية بـ الفعل المضارع (يرزق)، وكان بالامكان أن يقول: هل من رازق غير الله رازق لكم، ولكنّه عدل عن الصيغة الاسميّة إلى الصيغة الفعليّة، قال السيوطي: ((لو قيل: رازقكم لفات ما أفاده الفعل من تجدّد الرزق شيئا بعد شيء، ولهذا جاءت الحال في صورة المضارع)).[5]، ولذلك عبّر بالصيغة الفعليّة، لأنّ المقصود في الآية تقرير العباد برزق الله تعالى لهم، وهذا ما يتطلّب التعبير بالمضارع لأنّ فيه من الدلالة على تجدّد الرزق وحصوله للعباد كلّ وقت، وفي هذا التعبير من دقّة المعنى ولطفه ما ليس في اسم الفاعل، ولذلك اختاره القرآن.5

ومن ذلك قوله تعالى في سورة فاطر:﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾.[6]، فلو نظرنا إلى سياق الآية الكريمة لوجدنا

1- نهج البلاغة:177/2.
2- البرهان،الزركشي:81./1
3- فاطر/.3
4- الإتقان،السيوطي:578./1
5- ينظر:الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم،عبد الحميد أحمد:75.

1-فاطر/.9
2-الكشّاف،الزمخشري:601./3
3- أنوار التنزيل، البيضاوي:412./4
4-البرهان،الزركشي:320،319/3.

أنّه سياق مفعم بالحركة ويتّضح ذلك من الأفعال الواردة في الآية:(أرسل- تثير- سقناه)، ممّا يمكّننا من تسميته سياقاً حركياً متغيّراً، وهذا التغيّر لابدّ له من صيغة وهي قوله تعالى: " فتثير "، قال الزمخشري: ((إن قلت: لم جاء "فتثير" على المضارعة، دون ما قبله وما بعده ؟ قلت: ليحكى الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالّة على القدرة الربّانيّة، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصيّة بحال تستغرب، أو تهمّ المخاطب)).[1]

ولهذا السبب عبّر القرآن بصيغة المضارعة، وقال البيضاوي: ((ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار الأمر)).[2]

ولم يقتصر تأثير الصيغة على المفردة فحسب وإنّما تعدّى ذلك إلى السياق ككل، فلو نظرنا في الآية لوجدنا أنّها بدأت بالغيبة" أرسل" ثمّ انتقلت إلى الخطاب " فسقناه" ثمّ عادت إلى الغيبة، ويبيّن لنا الزركشي فائدة ذلك، قال: ((وفائدته أنّه لمّا كان سوق السحاب إلى البلد إحياء للأرض بعد موتها بالمطر دالا على القدرة الباهرة والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلّم، لأنّه أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه وأفخم)).[3]

ومن هنا يتبيّن لنا دور الصيغة في الدلالة القرآنيّة، وما تبثّه في من دلالات إيحائيّة مؤثّرة في السياق القرآني وما يحمله من معان.

ومن لطائف التعبير القرآني وما يوحي به من دلالة تجدّدية، قوله تعالى في سورة "ص":﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾.[4]

فقد عبّر القرآن بصيغة المضارع (يسبّحن)، وله أن يعبّر بالصيغة الاسميّة فيقول (مسبّحات)، ولكنّه استعمل الصيغة الفعليّة لسبب دلالي، قال الزمخشري:((يسبّحن في معنى مسبّحات على الحال، فان قلت: هل من فرق بين يسبّحن ومسبّحات ؟ قلت: نعم، وما اختير يسبّحن إلاّ لذلك، وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال، وكأنّ السامع حاضر تلك الحال يسمعها تسبّح)).[5]

فنجد أنّ إيثار القرآن لصيغة المضارع في تعبيره جاء لإثبات التسبيح المتجدّد للجبال، وقال الشوكاني: ((وقد جاء هذا الفعل في بعض الفواتح ماضيا، وفي بعضها مضارعا، وفي

1- صاد/.18

2- الكشّاف،الزمخشري:4/.79

3- فتح القدير،الشوكاني:5/165.

بعضها أمرا، للإشارة إلى أنّ هذه الأشياء مسبّحة في كلّ الأوقات لا يختصّ تسبيحها بوقت دون وقت بل هي مسبّحة أبدا في الماضي وستكون مسبّحة أبدا في المستقبل)).[1]

وممّا يثبت لنا تجدّد التسبيح قوله تعالى في الآية نفسها "بالعشي والإشراق" أي في المساء والصباح هي مسبّحة لا ينقطع تسبيحها، ومن هنا ندرك أسرار التعبير القرآني وما يبتغيه من هذه التعابير الدقيقة التي تراعي المستوى الفنّي الدقيق في الدلالة، ونتبيّن منها دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم.

وأختم هذا المبحث بقوله تعالى في سورة الملك:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾.[2]

ولننظر في التعبير القرآني في قوله تعالى: (صافات ويقبضن)، فهل من فرق في التعبير لو قلنا: (يصففن وقابضات)، ولم جاء التعبير القرآني على هذه الشاكلة ؟ والجواب عن ذلك ذكره الزمخشري في الكشّاف قال: ((إن قلت: لم قيل: " يقبضن" ولم يقل: قابضات ؟ قلت: لأنّ الأصل في الطيران هو صفّ الأجنحة،لأنّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مدّ الأطراف وبسطها، وأمّا القبض فطارىء على البسط للاستظهار به على التحرّك، فجيء بما هو طارىء غير أصل بلفظ الفعل، على معنى أنّهن صافات، ويكون منهنّ القبض تارة كما يكون من السابح)).[3]

ولذلك عبّر القرآن بـ: " يقبضن"، ولم يقل قابضات، وكأنّ الآية الكريمة رمزت بذلك إلى أنّ الصف هو الغالب في فعل الطير في جوّ السماء، وأنّ القبض عارض، لذلك قال: " صافات" للإشارة إلى الأصل في الطيران، وقال " يقبضن" للإشارة إلى العارض فيه.[4]

ومن هذه الشواهد القرآنيّة التي قدّمناها في هذا المبحث نستوحي قيمة الصيغة في التعبير القرآني، وما يمكن أن تؤدّيه من المعنى، وندرك قوّة التعبير القرآني، وكيف أنّه يختار لكلّ معنى من المعاني ما يناسبه من الصيغ، مراعيا الدقّة في الدلالة، والتفنن في الأسلوب البلاغي، وان كان في ذلك دلالة فدلالته عظمة هذه اللغة التي وسعت كتاب الله تبارك وتعالى، واستوحت معانيه، وكلّ هذه الشواهد التي تحدّثنا عنها تندرج تحت دلالة الفعل المضارع خاصّة، وهو موضوع البحث، وبالامكان تتبّع الكثير من الصيغ الأخرى التي تحمل في طيّاتها أسرار التعبير القرآني لولا خشية الإطالة.

دلالة المضارع على الماضي وبالعكس:

1- الملك/.19
2- الكشّاف،الزمخشري:4/.581
3- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد أحمد:70.

مرّ بنا في المبحث السابق كيف أنّ القرآن يراعي التعبير الفنّي الدقيق للصيغ، ففي حالة الثبوت يعبّر بالصيغة الاسميّة، وفي حالة التغيّر والتجدّد يعبّر بالصيغة الفعليّة، ووقفنا على شيء من أسرار هذا الاستعمال للصيغ الخاصّة بالمضارع.

وقد يعبّر القرآن بالمضارع ويدلّ به على الماضي، أو يعبّر بالماضي ويدلّ به على المضارع، وذلك وارد في كثير من آياته المباركات، ولابدّ من قصد يرمي إليه القرآن في تعبيره هذا، وفائدة جليلة ينبّه القرآن عليها، قال الزركشي في الحديث عن هذا الاستعمال القرآني: ((قالوا والفائدة في الفعل الماضي إذا عبّر به عن المستقبل إذا لم يوجد أنّه أبلغ وأعظم موقعا لتنزيله منزلة الواقع، والفائدة في المستقبل إذا أخبر به عن الماضي لنتبيّن هيئة الفعل باستحضار صورته ليكون السامع كأنّه شاهد)).[1]،وهنا يكمن سرّ التعبير بالمضارع عن الماضي، وبالماضي عن المضارع، فالنصّ يبيّن لنا غاية هذا التعبير، ولنستشفّ ذلك من خلال النصوص القرآنيّة التي ورد فيها هذا التعبير، ومنها قوله تعالى في سورة البقرة:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَتِ وَأَيَّدْنَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.[2]

فقال: كذّبتم، ثمّ قال: تقتلون، ولم يقل قتلتم، والحديث في الآية الكريمة عن الأقوام الماضية، فالأولى أن يقال: قتلتم، ولكنّه عبّر بصيغة المضارع استحضارا لحال هؤلاء الأقوام الشنيعة بقتلهم الأنبياء،قال الزمخشري: ((إن قلت: لم جيء بأحد الفعلين ماضيا، وبالآخر مضارعا ؟ قلت: جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفضاعا للقتل، واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجّب منها)).[3]

وكأنّ القرآن الكريم عبّر بالصيغة المضارعيّة هنا لأنّه أراد أن يقرّب تلك الحال إلينا،فلو قال: قتلوا، لم يعط من الدلالة ما أعطاه (يقتلون) في تقريب تلك الحال التي أراد القرآن التنبيه عليها.

وقال ابن كثير: ((وإنّما لم يقل: وفريقا قتلتم لأنّه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضا،لأنّهم حاولوا قتل النبي "ص" بالسمّ والسحر)).[4] ، فعبّر بالمضارع ليبيّن استمرار القتل منهم،فهم لم ينقطعوا عنها، ويرى البيضاوي: أنّ القرآن عبّر بـ:(يقتلون)، مراعاة

1- البرهان،الزركشي:3/.377
2- البقرة/.87
3- الكشّاف،الزمخشري:663/1.

1- تفسير القرآن العظيم،ابن كثير:1/.124
2- ينظر:أنوار التنزيل، البيضاوي:358/1، والمنتقى من علوم القرآن:.275
3- تفسير أبي السعود:127/1.

للفاصلة القرآنيّة[1]، وقال أبو السعود: ((بيان لفنّ آخر من قبائحهم على طريق الالتفات إلى الغيبة إشعارا بإبعادهم عن رتبة الخطاب لمّا فصّل من مخازيهم الموجبة للإعراض عنهم)).[2]

وننتقل إلى آية أخرى من سورة البقرة هي قوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.[3]

فقوله تعالى (تقتلون) بالنظر إلى صيغته (مضارع)، وبالنظر إلى سياق الآية الكريمة نراه ماضيا، بدليل قوله تعالى: (من قبل)، قال الفرّاء: ((يقول القائل: إنّما "تقتلون" للمستقبل، فكيف قال: "من قبل" ونحن لا نجيز في الكلام: أنا أضربك أمس، وذلك جائز إذا أردت بتفعلون الماضي، ألا ترى أنّك تعنّف الرجل بما سلف من فعله فتقول: ويحك لم تكذب،لم تبغّض نفسك إلى الناس، ومثله قوله تعالى: "واتّبعوا ما تتلوا الشياطين" ولم يقل ما تلت الشياطين، وذلك عربيّ كثير في الكلام،أنشدني بعض العرب:

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ولم تجدي من أن تقرّي بها بدّا

فالجزاء للمستقبل والولادة كلّها قد مضت، وذلك أنّ المعنى معروف)).[4]

فالتعبير بصيغة المضارع على ما ذكر الفرّاء لكون المضارع أبلغ في التعنيف كما هو واضح من النص، فأراد الله تبارك وتعالى أن يعنّفهم على فعلهم القبيح فجاء بهذا التعبير لهذا الغرض.

1-البقرة/.91

2-معاني القرآن،الفرّاء:60/1،61، وينظر جامع البيان،الطبري:420/1.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾.[1]

فقوله تعالى: (وبرزوا)، ماض والمراد به المضارع، أي: يبرزون، قال الزمخشري: ((ويبرزون يوم القيامة، وإنّما جيء به بلفظ الماضي،لأنّ ما أخبر به عزّ وجل لصدقه كأنّه قد كان ووجد)).[2]

فالتعبير بالماضي هنا للإشارة إلى أنّ هذا الأمر كأنّه وقع وحصل، وهذا ما يشهد له مضمون الآية الكريمة فأنت تحسّ حين تقرأها بأنّك تعيش تلك الساعة وكأنّها واقعة فعلا، مع العلم أنّها لم تقع بعد، وكأنّهم قد برزوا وخرجوا من قبورهم لحساب الله تبارك وتعالى.

وقال أبو السعود: ((وإيثار صيغة الماضي، للدلالة على تحقيق وقوعه، أو لأنّه لا مضيّ ولا استقبال بالنسبة إليه سبحانه)).[3]، وهو توجيه آخر لاستعمال صيغة الماضي والمراد بها المضارع.

ومن الشواهد المتقدّمة ندرك استعمال القرآن الكريم لصيغة المضارع والمراد بها الماضي، أو لصيغة الماضي المراد بها المضارع، ممّا يظهر لنا دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم ويتحفنا بجواهر الدلالة القرآنيّة.

إطلاق الخبر وإرادة الأمر أو النهي:

قد يطلق الخبر في التعبير القرآني ولا يراد به الإخبار، وإنّما يراد به الأمر بشيء أو النهي عن شيء، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنّه كأنّه قد سارع المخاطب إلى امتثاله أو الانتهاء عنه، أو كأنّه أخبر عنه موجودا، قال الزمخشري عن الأمر والنهي بصورة الخبر: ((وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي،لأنّه كأنّه قد سورع إلى الامتثال والانتهاء عنه، فهو يخبر عنه)).[4]

1- إبراهيم/.21

2- الكشّاف،الزمخشري:548/2، وينظر:زاد المسير،ابن الجوزي:356/4.

3- إرشاد العقل السليم، أبي السعود:41/5،وينظر:فتح القدير،الشوكاني:103/3.

1- الكشّاف،الزمخشري:159/1.

2- البقرة/228.

ومن الآيات القرآنيّة التي وردت بهذا التعبير قوله تعالى:﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[1]

فقوله تعالى " يتربّصن"، خبر والمراد به الأمر بالتربّص، وليس الإخبار عنهنّ بذلك، قال الزمخشري: ((فان قلت: ما معنى الإخبار عنهن بالتربّص ؟ قلت: هو خبر في معنى الأمر، وأصل الكلام وليتربّص المطلّقات، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنّه ممّا يجب أن يتلقّى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنّهن امتثلن الأمر بالتربّص، فهو يخبر عنه)).[2]

وهنا ندرك الفرق بين التعبيرين، التعبير بالأمر نفسه، أو التعبير بالخبر وإرادة الأمر، فعندما يعبّر بالأمر فانّه يراد به فعل الشيء، وعندما يعبّر بالخبر ويراد به الأمر، فانّ في ذلك فضلا عن طلب الفعل إشارة إلى أنّ المأمور امتثل إلى الأمر وعمل به وكأنّه موجود، وهذا من مزايا التعبير القرآني.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.[3]

3- الكشّاف،الزمخشري:270/1.

1- البقرة/.233
2- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،الواحدي:172/1، وينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي:524/1.
3- البرهان،الزركشي:320./2
4- إرشاد العقل السليم ،أبي السعود:230./1
5- يوسف/47.

فقولـه تعـالى: " يرضـعن"، لفظـه لفـظ الخبـر، ومعنـاه الأمـر.[1]، أي لترضـع الوالـدات أولادهنّ، وممّـا يـدلّ علـى أنّـه خبـر بمعنـى الأمـر سياق الآيـة الكريمـة، حيـث حـدّدت مـدّة الرضـاعة بقولـه تعـالى: " حـولين كـاملين "، ثـمّ قالـت " لمـن أراد أن يـتمّ الرضـاعة "، قـال الزركشي: ((فانّ السياق يدلّ على أنّ الله تعالى أمر بذلك لا أنّـه خبر، والاّ لـزم الخلف فـي الخبـر)).[2] ، وقـال أبـو السـعود: ((وهـو أمـر أخـرج مخـرج الخبـر مبالغـة فـي تحقيـق مضمونه)).[3] ، وهذه فائدة أخرى من التعبير بالخبر وإرادة الأمر.

وننتقل إلى سورة يوسف " عليه السلام "، فيطالعنا قوله تعالى:﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾.[4]، و " تزرعون" خبر في معنى الأمر أيضا، بدليل السياق القرآني للآيات الكريمة التي تحدّثت عن السنين العجاف التي أنزلت القحط في قوم يوسف " عليه السلام "، فهم مأمورون أن يزرعوا، قال الزمخشري: ((تزرعون خبر في معنى الأمر، كقوله: "تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله"، وإنّما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب المأمور به، فيجعل كأنّه يوجد فهو يخبر عنه موجودا، والدليل على كونه في معنى الأمر، قوله: "فذروه في سنبله")).[5]

ومن ذلك قوله تعالى:﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[6]

فالإيمـان باللـه تبـارك وتعـالى مـأمور بـه، والجهـاد فـي سـبيله مـأمور بـه أيضـا، قـال الزمخشري: ((فان قلت: لم جيء به على لفظ الخبر ؟ قلت: للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنّه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين، ونظيره قول الداعي غفر الله لك، ويغفر الله لك، جعلت المغفرة لقوّة الرجاء كأنّها كانت ووجدت)).[7]

1- الكشّاف،الزمخشري:2/.476
2- الصف/.11
3-الكشّاف،الزمخشري:4/.527
4- البقرة/83.

ومنه إطلاق الخبر وإرادة النهي، كقوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾.[1]

فقوله تعالى: (لا تعبدون)، خبر بمعنى النهي، قال الزمخشري: ((لا تعبدون، إخبار في معنى النهي، كما تقول: تذهب إلى فلان تقول له كذا وكذا، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنّه كأنّه قد سورع إلى الامتثال والانتهاء، وتنصره قراءة عبد الله وأبي: " لا تعبدوا")).[2]

وقال أبو السعود: ((وهو أبلغ من صريح النهي، لما فيه من إيهام أنّ المنهي حقّه أن يسارع إلى الانتهاء عمّا نهي عنه، فكأنّه انتهى عنه)).[3]

والذي يتّضح لنا من الشواهد التي عرضناها في هذا المبحث، أنّ الدلالة الغالبة لهذا التعبير القرآني بإخراج الأمر والنهي في صور الخبر هو الإسراع إلى امتثاله وكأنّه متحقّق. ويمكن أن تكون هناك توجيهات أخرى لهذا التعبير منها:

- هناك فرق دلالي بين التعبير بالأمر الذي هو طلب الفعل، بصيغة الأمر، وبين التعبير بالخبر عن الأمر، ففي الأوّل دلالة على طلب حصول الفعل فقط، وفي الثاني، لا يريد طلب الفعل بالأصل وإنّما يريد أن يخبر عن امتثال المأمور به للأمر، وكأنّه أمر موجود حاصل، وهذا فرق كبير بين التعبيرين.
- في التعبير بالخبر وإرادة الأمر، لا نستشفّ صورة الطلب التي قد تثير استصغار المأمور، أو تقلّل من شأنه، بل هو أمر برقّة بالغة، واهتمام كبير بالمأمور، فلذلك يمكن لنا أن نقول، أنّه أمر بأسلوب راق، يراعي حال المخاطب ونفسيّته.
- تنوّع أساليب الأمر القرآني، فتارة يأمر بصيغة الأمر، وأخرى بصورة الخبر وإرادة الأمر، والله العالم بالصواب.

النهي القرآني:

1-الكشّاف،الزمخشري:159/1، وينظر:جوامع الجامع،الطبرسي:1/.121،122

2- إرشاد العقل السليم،أبو السعود:123/1.

كثيرا ما يرد في القرآن الكريم النهي عن قرب الشيء المراد النهي عنه فضلا عن النهي عن العمل به، وذلك واضح في كثير من آيات القرآن المباركات، ومنها قوله تعالى:﴿ ولا تقربوا الفواحش﴾.[1] ، فالقرآن هنا لا ينهى عن فعل الفاحشة مباشرة، وإنّما يتّخذ سبيلا آخر إلى النهي عن ذلك هو النهي عن قرب الفاحشة فضلا عن النهي عن فعلها، وكذلك قوله تعالى:﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾.[2] ، فالقرآن لم يقل: ولا تزنوا، وإنّما قال: ولا تقربوا الزنى ، وفرق بين التعبيرين، ففي التعبير بالنهي عن القرب الزنى مبالغة أكبر من النهي عن فعل الزنى نفسه، قال أبو حيّان(ت):((والنهي عن القربان للحدود أبلغ من النهي عن الالتباس بها ..... وما كان منهيّا عن فعله كان النهي عن قربانه أبلغ)).[3]

والنصّ يبيّن مغزى التعبير القرآني بالنهي عن قرب الحدود، ولو نظرنا في آيات القرآن الكريم لوجدنا الكثير من آياته جاءت على هذه الشاكلة من التعبير.[4]

ومن هذه الآيات قوله تعالى:﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.[5]

فالحدود منهيّ عن فعلها أصلا، ولكنّ القرآن نهى عن قربها، والسبب في ذلك يبيّنه لنا البيضاوي يقول: ((نهى أن يقرب الحدّ الحاجز بين الحقّ والباطل لئلاّ يداني الباطل فضلا عن أن يتخطّى عنه، كما قال (عليه السلام): " إن لكلّ ملك حمى وانّ حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه)).[6]

1- الأنعام/.151
2- الإسراء/.32
3- البحر المحيط، أبي حيّان الأندلسي:2/.54
4- ينظر: أساليب الطلب بين النحويين والبلاغيين، قيس إسماعيل الآوسي:481.
5- البقرة/187.

1- أنوار التنزيل، البيضاوي:472/1. والحديث في صحيح البخاري:4/3.
2- البقرة/.35
3- النساء/.43
4- الأنعام/151.
5- الأنعام/.152

وهنا يكمن سرّ التعبير القرآني بهذا الأسلوب، وكأنّ القرآن يريد أن يضفي حصانة بالغة على الإنسان فيقطعه أصلا عن المحرّمات. ومن الآيات التي جاءت بهذا التعبير قوله تعالى في سورة البقرة:﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.[1] ، وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾.[2] ، وقوله تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾.[3] ، وقوله تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾.[4] ، وقوله تعالى:﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾.[5] ، وقوله تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾.[6] ،وقوله تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾.[7]

وغيرها كثير من آيات القرآن الكريم التي وردت على هذه الشاكلة من التعبير،بالنهي عن قرب الحد المنهي عن إتيانه أصلا.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[8] ، فليس المراد في الآية الكريمة النهي عن الموت، وإنّما النهي عن الموت على غير حال الإسلام، قال الطبري: ((إن قال لنا قائل: أو إلى بني آدم الموت والحياة فينهى أحدهم أن يموت إلاّ على هذه حالة دون حالة، قيل له: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت، وإنّما معناه فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون، أي فلا تفارقوا هذا الدين وهو الإسلام أيّام حياتكم)).[9]، فالنهي هنا عن أن يموت الإنسان على غير حال الإسلام، وليس عن الموت على تلك الحال، أي موتوا على الإسلام ولا تموتوا على حال غيره، كما تقول لأحد مثلا: لا تصلّ إلاّ وأنت خاشع، فلا تنهاه عن الصلاة، ولكن تنهاه عن ترك الخشوع في

6- التوبة/.28
7- الإسراء/.32
8- الإسراء/34.

1- البقرة/.132
2- جامع البيان،الطبري:1/.561
3- ينظر: الكشّاف، الزمخشري:1/.192
4- المائدة/2.

حال صلاته، فالصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة، والموت على غير حال الإسلام لا خير فيه.[1]

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[2]

فالقرآن لم ينه عن التعرّض للهدي بصورة مباشرة، وإنّما نهى عن التعرّض لقلائد الهدي، قال الزمخشري: ((نهى عن التعرّض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرّض للهدي، على معنى ولا تحلّوا قلائدها فضلا عن أن تحلّوها، كما قال: " ولا يبدين زينتهنّ "، فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها)).[3] ، ومن نهى عن التعرّض لقلائد الهدي كان نهيه عن التعرّض للهدي أشدّ وأبلغ.

و أظنّ أنّ في استعمال القرآن لهذا الأسلوب غاية في الرأفة والرحمة بالعباد، فلعلمه بالضرر المترتّب على هذه الحدود نهى عن قربها فضلا عن إتيانها، كما تقول الأمّ لولدها: لا تقرب النار، فضلا عن لمسها لعلمها بالأذى الذي يصيب ولدها من جرّاء ذلك، ولخوفها عليه وحبّها له.

1- الكشّاف،الزمخشري:192/1.

التكرار:

من الأساليب الواضحة في التعبير القرآني التكرار، فنحن غالبا ما نجد عندما نقرأ القرآن الكريم تكرار في ألفاظه، وهذا التكرار يكون أحيانا بلفظة مفردة، وأحيانا أخرى بجملة، وما يهمّنا في هذا المبحث هو بيان الدلالة التي يؤدّيها تكرار الفعل المضارع في الآيات القرآنيّة الكريمة.

وممّا يطالعنا في بيان دلالة التكرار قوله تعالى في سورة آل عمران:﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.[1] ،ثمّ قال تعالى في السورة نفسها:﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.[2]

فكرّر قوله :(ويحذركم الله نفسه)، بعد آية من الأولى، فما سبب ذلك، قال الشريف الرضي: ((إن قال قائل: انّه تعالى كرّر قوله: " ويحذّركم الله نفسه "، في موضعين متقاربين من هذه السورة، فما الفائدة من ذلك ؟ فالجواب: إنّ ذلك ليس بتكرار، لأنّ الذي عناه بالآية الأولى غير الذي عناه بالآية الأخرى، لأنّ الأولى إنّما حذّرهم فيها عقابه على موالاة الكفّار، والثانية إنّما حذّرهم فيها ذلك على مواقعة سائر المعاصي، فحسن إعادة التحذير عند كلّ منهي عنه، ليكون الخوف أعمّ والزجر أبلغ، وليعلم أيضا أنّ الجرمين في العقاب على حدّ سواء، فيكون التناهي عن أحدهما كالتناهي عن الآخر، وقد يجوز أن تكون الآية الثانية نزلت بعد الأولى بزمان متراخ، فحسن التكرير فيها، لانفراج ما بين الأولى وبينها)).[3]

ومن هذا التعليل ندرك الفائدة من التكرار، وهي كونه أفاد قوّة في الزجر، وتهويل بشدّة العقوبة، ولكن هناك أمر لا بدّ من الإشارة إليه، وهو أنّ الشريف الرضي قال في بداية الجواب: "إنّ ذلك ليس بتكرار"، ثمّ قال: "فحسن التكرير" وأمر آخر أنّه ذكر في بداية حديثه عن الآية الكريمة فائدة التكرير"ويحذّركم الله نفسه"، وكأنّ عبارات النص توحي

1- آل عمران/.28
2- آل عمران/.30
3- حقائق التأويل، الشريف الرضي:82،83.

بالتناقض، وليس كذلك، فما أظنّه هنا أنّه أراد بقوله:"أنّ ذلك ليس بتكرار" من جهة المعنى، وليس من جهة اللفظ، فلو نظرنا إلى الألفاظ نجدها مكرّرة، وممّا يؤّيد ذلك ذكره دلالة التكرار وفائدته التي جاء من أجلها.

وثمّة فائدة أخرى أشار إليها الكرماني في كتابه أسرار التكرار وهي أنّ رأفة الله ورحمته بعباده قد اقتضت التحذير مرّة أخرى، قال: (("ويحذّركم الله نفسه"، كرّره مرتين، لأنّه وعيد عطف على وعيد آخر في الآية الأولى، فانّ قوله: "والى الله المصير"، معناه مصيركم إلى الله والعذاب معدّ لديه، فاستدركه في الآية الثانية بوعد، هو قوله تعالى: "والله رؤوف بالعباد"، والرأفة أشدّ من الرحمة، وقيل من رأفته: تحذيره المرّة الثانية بقوله تعالى:" ويحذّركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد")).[1] ،وهو تعليل لطيف لأنّ فائدة تكرار التحذير جاءت لحفظ الإنسان من ارتكاب المعاصي، وذلك من رأفة الله تبارك وتعالى بعباده.

ومن الآيات القرآنيّة التي ورد فيها التكرار قوله تعالى:﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.[2] ، فقد وردت هذه الآية مكرّرة أربعا وثلاثين مرّة، في السورة المباركة، ولا بدّ من غاية وراء هذا التكرار، قال الشريف المرتضي: ((فأمّا التكرار في سورة الرحمن فإنّما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المتعدّدة، فكلّما ذكر نعمة أنعم بها قرّر عليها، ووبّخ على التكذيب بها)).[3]

وثمّة أمر آخر في الآية الكريمة أودّ الإشارة إليه وهو لم قال (تكذّبان) بلفظ الاثنين وما الوجه فيه ؟ قال الفرّاء: ((في ذلك وجهان: أحدهما: أنّ العرب تخاطب الواحد بفعل الاثنين، فيقال: ارحلاها ازجراها يا غلام، والوجه الآخر: أنّ الذكر أريد به الإنسان والجان، فجرى لهما من أوّل السورة إلى آخرها)).[4]، وفي هذه الآية الكريمة دلالة على تداخل مستويات اللغة في النظم القرآني، بحيث تجد من الآيات ما يحمل دلالتين كلّ منهما تمثّل مستوى من مستويات اللغة العربيّة.

1- أسرار التكرار، الكرماني:47، وينظر: روح المعاني، الآلوسي:3/.128
2_ الرحمن/.12
3_ أمالي المرتضى:123/1.

1- معاني القرآن، الفرّاء :114/3.
2- النبأ/.4،5
3- الكشّاف، الزمخشري:4/.684
4- إرشاد العقل السليم،أبي السعود:86/9.

وأختم هذا المبحث بقوله تعالى في سورة النبأ:﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾.[1] ،والتكرار واضح في الآية الكريمة، قال الزمخشري: ((كلاّ ردع للمتسائلين هزؤا، و(سيعلمون) وعيد لهم بأنّهم سوف يعلمون أنّ ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حقّ، لأنّه واقع لا ريب فيه، وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك، ومعنى " ثمّ "، الإشعار بأنّ الوعيد الثاني أبلغ من الأوّل وأشدّ)).[2]، فالسبب في التكرار هو ردع هؤلاء المستهزئين ب (كلاّ)، وتشديد في الوعيد لهم بقوله تعالى: (سيعلمون) مكرّرة، كما نقول لشخص مستهزىء بأمر حقيقي واقع: كلاّ سترى ثمّ كلاّ سترى، وفي الثاني إشعار بالاستهزاء بهم والشدّة عليهم.

قال أبو السعود: ((كلاّ تكرير للردع، والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد وثمّ للدلالة على أنّ الوعيد الثاني أبلغ وأشدّ)).[3]

ومشابه لهذه الآية قوله تعالى في سورة التكاثر:﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.[4]، وقوله تعالى في السورة نفسها: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾.[5]

وممّا تقدّم من الشواهد القرآنيّة يتبيّن لنا السبب في التكرار القرآني وما يحمله من دلالات في سياق الآيات القرآنيّة الكريمة بما يفيد تأكيدا، أو تقريرا، وهي غيض من فيض ممّا ورد من شواهد التكرار القرآني في آيات القرآن المباركات.

1- التكاثر/.3،4
2- التكاثر/5،6.

الاستعمال القرآني ومراعاة الدلالة:

يراعي الاستعمال القرآني دلالة الفعل المضارع مراعاةً فائقةً قلّما نجد مثلها في كلام غيره، وتتضمّن هذه المراعاة أبعادا متعدّدة في اختيار لفظ من سواه، فقد يراعي القرآن البعد الجمالي للفظة التي يستعملها، وأحيانا يراعي بعد التأثير، أو الجزالة وقوّة اللفظ، يقول الباقلاّني(ت404ه) في معرض حديثه عن قوله تعالى:﴿ وهمّت كلّ أمّة برسولهم ليأخذوه﴾.[1] ، :((هل تقع في الحسن موقع قوله: " ليأخذوه "، كلمة ؟ أو هل تقوم مقامه في الجزالة لفظة ؟ وهل يسدّ مسدّه في الأصالة نكتة ؟ ولو وضع موضع ذلك "ليقتلوه"، أو "ليرجموه"، أو "لينفوه"، أو "ليطردوه"، أو "ليهلكوه"، أو "ليذلّوه"، ونحو هذا، ما كان ذلك بديعا، ولا بارعا ولا عجيبا ولا بليغا)).[2]

ومن هنا نورد بعض الألفاظ القرآنيّة لنرى ما تملكه من إشارة دلاليّة، وما تعطيه من معنى، ونبدأ بقوله تعالى من سورة البقرة:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[3] ، فلم آثر القرآن استعمال لفظة "يَسفك" ؟ وهلاّ قال: "يقتل" بدلا منها، قال النورسي: ((إن إيثار "يسفك" على "يقتل" لأنّ السفك هو القتل بظلم ومن القتل ما هو جهاد في سبيل الله، وكذا قتل الفرد لسلامة الجماعة، كقتل الذئب لسلامة الغنم)).[4] ، ولذلك قال : "يسفك" ولم يقل: "يقتل"، لأنّه يريد إبراز الصورة البشعة للإنسان بأنّه يسفك الدماء وهذا الكلام جاء في معرض الحوار بين الله تبارك وتعالى والملائكة حينما استفهموا عن جعل الإنسان خليفة الله في الأرض.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾.[5] ، فلم استعمل القرآن لفظة: "تفعلوا"، ولم يقل: فان لم تأتوا به ؟ وقد عبّر بلفظ

1- المؤمن/5.
2- إعجاز القرآن،الباقلاّني:.197
3- البقرة/30.
4- إشارات الإعجاز،بديع الزمان النورسي:299.

1- البقرة/.24
2- التفسير الكبير،الفخر الرازي:2/.121

الإتيان أوّلا بقوله: " فأتوا بسورة من مثله"، قال الفخر الرازي: ((لأنّ هذا أخصر من أن يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله، ولن تأتوا بسورة من مثله)).[1]

والسبب في ذلك أنّ لم "تفعلوا" أخصر من: فان لم تأتوا به، ويمكن أن يضاف إلى ذلك سبب آخر هو أنّ القرآن لو قال: "لم تأتوا به" لدلّ ذلك على أنّهم بحثوا في الأسباب لكي يأتوا بمثله، فلفظ الإتيان يوحي بالبحث ودليل ذلك قوله تعالى: "سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلّكم تصطلون"[2] ،فقال: آتيكم، لأنّه سيذهب إلى مصدر النار ويتحرّى عنها، ولكونهم عاجزين أصلا عن الإتيان، ولم يرد في أذهانهم طريق إليه، قال: فان لم تفعلوا، والله العالم بالصواب.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.[3] ، قال الزمخشري: ((فان قلت: لم قيل "يعلمون"، مع ذكر النجوم، و"يفقهون" مع ذكر إنشاء بني آدم ؟ قلت: كأنّ إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدقّ صنعة وتدبيرا، فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال الفطنة وتدقيق النظر مطابقا له)).[4] ، فإنشاء الإنسان من نفس واحدة ممّا يتطلّب تأمّلا وفطنة ولذلك جاء التعبير بـ: "يفقهون". ، وهو المناسب مع ما ورد في مضمون الآية الكريمة.

ومنه أيضا قوله تعالى:﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.[5]

،وبالامكان أن يقول: "لأسجننّك"، وهو أخصر من الأوّل، قال الزمخشري: ((فان قلت: ألم يكن لأسجننّك أخصر من أن يقال: "لأجعلنّك من المسجونين" ومؤدّيا مؤدّاه ؟ قلت: أمّا أخصر فنعم وأمّا مؤدّيا مؤدّاه فلا، لأنّ معناه: لأجعلنّك ممّن عرفت حالهم في سجوني، وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوّة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشدّ من القتل)).[6]

ومن هنا نعلم إيثار القرآن الكريم لهذه الألفاظ دون غيرها، كونها الأنسب في بيان المعنى الذي يريده القرآن الكريم، وهكذا تتّضح لنا دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم، وما يحمله من دلالات معنويّة في السياق القرآني.

3- النمل/7.
4- الأنعام/.98
5- الكشّاف، الزمخشري:2/50،51.

1- الشعراء/.29
2- الكشّاف،الزمخشري:3/309.

دلالات أخرى:

يتضمّن هذا المبحث ثلاثة عناوين هي: دلالة الإفراد والجمع، ودلالة التقديم والتأخير، والتناسب الدلالي في التعبير القرآني، وقد جمعتها تحت هذا العنوان كونها قليلة ومبثوثة في كتب التفسير ومعاني القرآن.

أوّلا: دلالة الإفراد والجمع:

يعبّر القرآن الكريم أحيانا بالإفراد، وأحيانا أخرى بالجمع، ولا بدّ من مغزى لهذا التعبير، وبين يدي أربع آيات تتجلّى فيها دلالة الإفراد والجمع، وأوّلها قوله تعالى في سورة البقرة:﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَآمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُـمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.[1] ، فلو نظرنا إلى التعبير القرآني الوارد في الآية الكريمة نجد أنّ: "يقول" مفرد، و"آمنّا" جمع، ولنا أن نتساءل هنا لم لم يقل: آمنت ؟ والجواب على ذلك يذكره بديع الزمان النورسي في إشارات الإعجاز، يقول: ((إن قلت: لم أفرد "يقول" وجمع "آمنّا" مع أنّ المرجع واحد ؟ قيل لك: فيه إشارة إلى لطافة ظريفة، هي إظهار أنّ المتكلّم مع الغير متكلّم وحده، فـ "يقول"، للتلفّظ وحده، و"آمنّا" لأنّه مع الغير في الحكم)).[2]، ولو كان التعبير: ومن الناس من يقول آمنت، لم يؤدّ ما أدّاه من معنى لأنّ القرآن يريد إثبات عدم الإيمان للمتكلّم وغيره ولذلك قال في نهاية الآية: " وما هم بمؤمنين".

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة أيضا:﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَآمَنُوا يُخْرِجُهُـمْ مِنْ الظُّلُمَـتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُـمْ الطَّغُوتُ يُخْرِجُونَهُـمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَـتِ أُوْلَئِـكَ أَصْحَـبُ النَّارِ

1- البقرة/.8
2- إشارات الإعجاز، بديع الزمان النورسي:.114
3- البقرة/257.

هُـمْ فِيهَا خَـلِدُونَ﴾.[1] ولننظر إلى الفعل (يخرج)، فقد ورد مفرداً مع الله تبارك وتعالى (يخرجهم)، ومجموعا مع الطاغوت(يخرجونهم)، وذلك أنّ مصدر الحقّ واحد وهو الله تبارك وتعالى، أمّا مصادر الكفر فهي متعدّدة ولذلك جاء التعبير بالمفرد مع الأوّل وبالجمع مع الثاني، جاء في الإتقان: ((ومن ذلك إفراد النور وجمع الظلمات، وإفراد سبيل الحق وجمع سبيل الباطل في قوله تعالى:"ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله"، لأنّ طريق الحقّ واحدة، وطريق الباطل متشعّبة، والظلمات بمنزلة طريق الباطل والنور بمنزلة طريق الحقّ، بل هما هما ولهذا وحّد ولي المؤمنين وجمع أولياء الكفّار في قوله تعالى: " الله وليّ الذين آمنوا.....")).[2]

وقد نجد التعبير بالإفراد في سورة والتعبير بالجمع في أخرى، قال تعالى في سورة النساء:﴿ وَمِنْهُـمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِـمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِـمْ وَقْـرًا وَإِنْ يَـرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.[3] فيستمع في الآية الكريمة جاء على الإفراد، ولكنّه جاء في سورة يونس "عليه السلام" بالجمع، قال تعالى:﴿ وَمِنْهُـمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾.[4] ، فما السرّ في ذلك ؟ قال الكرماني: ((لأنّ ما في هذه السورة نزل في أبي سفيان، والنضر بن الحارث، وعقبة، وشيبة، وأميّة، وأبي بن خلف، فلم يكثروا كثرة من في يونس، لأنّ المراد بهم في يونس جميع الكفّار، فحمل ههنا مرّة على لفظ (من) فوحّد لقلّتهم، ومرّة على المعنى فجمع، لأنّهم وان قلّوا كانوا جماعة، وجمع ما في يونس ليوافق اللفظ المعنى)).[5]

ومن هنا يتبيّن لنا السبب في الإفراد والجمع في السورتين، فأفرد في الأولى وجمع في الثانية مراعيا عدد المستمعين، وهذا ممّا يقلّ نظيره في غير التعبير القرآني.

ومنها ننتقل إلى سورة الحجّ ونتطلّع إلى قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَـرَى وَمَا هُـمْ بِسُكَـرَى وَلَكِنَّ

1-الاتقان، السيوطي:1/.564
2- النساء/.25
3- يونس/.42
4- أسرار التكرار، الكرماني:67.

عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.[1] ، فنجد أنّ الخطاب القرآني جاء أوّلا بصيغة الجمع: (ترونها)، ثمّ عدل إلى المفرد: (ترى)، فما الداعي لهذا العدول ؟ قال الزمخشري: ((إن قلت: لم قيل أوّلا: ترون، ثمّ قيل: ترى على الإفراد ؟ قلت: لأنّ الرؤية أوّلا علّقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها، وهي معلّقة أخيرا بكون الناس على حال السكر، فلا بدّ أن يجعل كلّ واحد منهم رائيا لسائرهم)).[2] ، فالقرآن تحدّث بلفظ الجمع أوّلا لأنّ حدث الزلزلة ممّا يراه الناس جميعا ولا يختصّ بأحد دون أحد، والحال يتطلّب الجمع، فلمّا تغيّر الحال وتطلّب أن يرى كلّ شخص بنفسه حال الآخر عبّر بالإفراد، وهذه غاية الإعجاز الدلالي القرآني.

دلالة التقديم والتأخير:

لا أريد هنا بيان أسباب التقديم والتأخير، وفوائده التي يحقّقها فانّ ذلك ممّا يطول بيانه، وإنّما أكتفي بالإشارة إلى دلالة التقديم والتأخير بما ورد منه مرتبطا بتقديم الفعل المضارع أو تأخيره في الآيات القرآنيّة، وقد تجمّعت لدي بعض الشواهد التي تتضمّن هذه الدلالة، ومنها قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾.[3] ، فيضلّ في الآية الكريمة مقدّم على يهدي، والترتيب يقتضي تقديم الهداية على الضلال كونها أشرف، فما الغرض الذي جاء من أجله تقديم

1- الحج/.2
2- الكشّاف الزمخشري:143/3.

1- البقرة/.26
2- إشارات الإعجاز،بديع الزمان النورسي:.266،267
3- ينظر: المصدر نفسه:267.

الضلال على الهداية ؟ قال النورسي: ((اعلم أنّ الترتيب يقتضي تقديم الثانية، لكن لمّا كان الغرض ردّا على اعتراض المتردّد المستفهم المستنكر المستقبح كان "يضلّ" أهم)).[1]

فتقديم الضلال هنا على الهداية إنّما جاء لكونه المناسب لهؤلاء المستهزئين بأمثال الله تبارك وتعالى المستصغرين لها، ولهذا قال: "يضلّ"، لأنّه المناسب لحالهم، ولو لم يستهزئوا وينكروا على الله ذلك لقدّم الهداية وقال :"يهدي" ومن هنا ندرك سرّ تقديم الضلال على الهداية، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ صورة المضارع في الفعلين توحي بتجدّد الضلال والهداية، فكفرهم يتكاثف ظلمة على ظلمة، كما أنّ إيمان المؤمن يتزايد نورا على نور.[2]

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.[3] ، فقدّم القبض على البسط والسبب في ذلك يبيّنه لنا الزركشي يقول: ((قدّم القبض لأنّ قبله " من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له "، وكان هذا بسطا، فلا يناسب تلاوة البسط، فقدّم القبض لهذا، وللترغيب في الإنفاق، لأنّ الممتنع منه سببه خوف القلّة فبيّن أنّ هذا لا ينجيه، فانّ القبض مقدّر ولا بد)).[4]
فتقديم القبض جاء للترغيب في الإنفاق، لتصوّر الناس أنّ الإنفاق يؤدّي إلى قلّة أموالهم، وهذا وهم فالأمر كلّه لله تبارك وتعالى فهو الذي يوسع على عباده وهو الذي يقتر عليهم، وفي التقديم إيحاء إلى التوكّل على الله تعالى.
وثمّة تعليل آخر ذكره أبو السعود، قال: ((ولعلّ تأخير البسط عن القبض في الذكر للإيماء إلى أنّه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء)).[5] ، وهو تعليل لطيف، فكأنّما يريد القرآن بذلك أن يقول للفقراء إنّ هذه الحال التي أنتم عليها من الفقر لن تدوم فانّ مع العسر يسرا، وانّ بعد الفقر غنى.

1- البقرة/.245
2- البرهان،الزركشي:3/.263
3- إرشاد العقل السليم،أبي السعود:1/.238
4- البقرة/284.

وممّا تتجلّى فيه دلالة التقديم والتأخير قوله تعالى في سورة البقرة أيضا:﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[1]

فقوله تعالى: "يغفر"، مقدّم في هذه السورة وفي غيرها على العذاب، إلاّ في موضع واحد في سورة المائدة فانّ العذاب فيه مقدّم على الغفران، وهو قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[2]

والسبب في ذلك أنّ الله تبارك وتعالى قدّم لفظ المغفرة في كلّ ذلك رحمة منه تعالى وترغيبا للعباد في المسارعة إلى موجبات المغفرة، أمّا في سورة المائدة، فجاء تقديم لفظ العذاب على المغفرة لأنّها نزلت في حقّ السارق والسارقة وعذابهما يقع في الدنيا فقدّم العذاب إشارة إلى ذلك.[3]

وأختم هذا المبحث بقوله تعالى في سورة الإخلاص:﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.[4] ، فقدّم (لم يلد) على (لم يولد)، والحال يتطلّب تأخير (لم يلد) على (لم يولد)، لأنّه بعده في الزمان، فما الغاية التي قدّم من أجلها القرآن (لم يلد) ؟ قال الزركشي: ((لمّا وقع في الأوّل منازعة الكفرة وتقوّلهم اقتضت الرتبة بالطبع تقديمه في الذكر اعتناءً به قبل التنزيه عن الوالد الذي لم ينازع فيه أحد من الأمم)).[5]

فالسبب في تقديم (لم يلد) أنّ هناك من نسب إلى الله تبارك وتعالى ولدا، فالنصارى قالوا المسيح ابن الله، واليهود قالوا عزير ابن الله، والعرب قالوا الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا، فقدّم (لم يلد) ليردّ على هؤلاء الكفرة زعمهم هذا.

وأمّا كون (لم يلد) بعد (لم يولد) في الزمان، فأجاب عنه السيّد محمد محمد صادق الصدر بقوله: ((إنّنا لو نظرنا إلى الزمان العرفي، كان السؤال واردا، إلاّ أنّ ذلك ملغى بحقّ

1- المائدة/.40
2- ينظر:أسرار التكرار،الكرماني:45،46.
3- الإخلاص/.3
4- البرهان،الزركشي:272/3،وينظر:تفسير البصائر،رستكار الجوبياري:427/60.

ذات الله، فلم يبق فرق في التقديم والتأخير، وهو فوق الزمان ولا مكان، وقد ورد عنهم عليهم السلام لا تحدّه الأزمنة ولا تحيط به الأمكنة ولا يأخذه نوم ولا سنه)).[1]

ومن هذه الشواهد القرآنيّة تتبيّن لنا دلالة التقديم والتأخير وما تضفيه هذه الدلالة من معان على السياق القرآني ممّا يوضّح لنا دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم.

التناسب الدلالي في التعبير القرآني:

ما أعنيه بالتناسب الدلالي هو مراعاة التعبير القرآني التناسب الدلالي بين الألفاظ والمعاني، وذلك واضح لمن اطّلع على هذا التعبير وعرف خصائصه ومميزاته، وقد ورد هذا التناسب في آيات قرآنيّة منها قوله تعالى:﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾.[2] ، فقد ورد قوله: "يسألونك" بغير واو قبله ثلاث مرّات في السورة وهي الآية التي ذكرتها، وقوله تعالى

1- منّة المنّان في الدفاع عن القرآن،السيّد محمد محمد صادق الصدر:73.
1- البقرة، من الآية: .215
2- البقرة، من الآية:217 .
3- البقرة، من الآية:219.
4- البقرة، من الآية:219.
5- البقرة، من الآية:220.
6- البقرة، من الآية:222.
7- الكشّاف،الزمخشري:1/266،267.

بعدها﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾.[1] ، وقوله بعد هذه الآية أيضا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾.[2] ، ثمّ جاء مع الواو ثلاث مرّات هي قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾.[3] وقوله:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾.[4] وقوله:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾.[5] ، قال الزمخشري: ((ما بال "يسألونك"، جاء بغير واو ثلاث مرّات، ثمّ مع الواو ثلاثا ؟ قلت: كأنّ سؤالهم عن تلك الأحداث الأوّل وقع في أحوال متفرّقة، فلم يأت بحرف العطف لأنّ كلّ واحد من السؤالات سؤال مبتدأ، وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت لاحق، فجيء بحرف الجمع لذلك، كأنّه قيل: يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر، والسؤال عن الإنفاق، والسؤال عن كذا وكذا)).[6]

ومن النصّ يتّضح لنا التناسب الدلالي، فعندما كانت الأسئلة الأولى متفرّقة ترك العطف بينها، ولمّا كانت الأسئلة في وقت واحد أشرك بينها بالعطف.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.[7] ، ففي أوّل الآية الكريمة قال: "لقد سمع الله"، ثمّ قال: "سنكتب"، ولم يقل كتبنا ليوافق بين الفعلين، فلم جاء بهذا التعبير ؟ قال الزمخشري: ((ذكر وجود السماع أوّلا مؤكّدا بالقسم، ثمّ قال: سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا أبدا إثباته وتدوينه، كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء)).[8]

فلو قال: "كتبنا" لم يؤدّ هذه الدلالة، فالقرآن الكريم يريد أن يتوعّدهم على ما قالوه وعلى قتلهم الأنبياء والمناسب للوعيد قوله: "سنكتب"، أمّا كتبنا فهي لا توحي بالوعيد.

وانظر إلى لون آخر من ألوان التناسب الدلالي في سورة الأعراف، وهو قوله تعالى:﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[9] ،ثمّ قال في السورة

1- آل عمران/.181
2- الكشّاف،الزمخشري:447.
3-الأعراف/62.
4-الأعراف/.68
5- ينظر:أسرار التكرار،الكرماني:83.

نفسها:﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.[1] ، فقال أوّلا: "أنصح" ثمّ قال: "ناصح" والسبب في ذلك أنّ ما في الآية الأولى جاء مناسبا لقوله: "أبلغكم" ، وهو بلفظ المستقبل، فعطف عليه مستقبل أيضا وهو قوله: "أنصح لكم"، أمّا الآية الثانية، فعبّر باسم الفاعل وهو قوله: "لكم ناصح"، لأنّهم قالوا له: "وإنّا لنظنّك من الكاذبين"، ليقابل الاسم بالاسم.[2]

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى في سورة الكهف:﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.[3] ، فجاء بالسين مع الأوّل وترك الآخرين، قال الزمخشري: ((في ذلك وجهان: أن تدخل الآخرين في حكم السين، كما تقول: قد أكرم وأنعم. تريد معنى التوقّع في الفعلين جميعا، وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له)).[4]

وما أظنّه أنّه ترك السين في الفعلين لذكرها في الأوّل، فهما داخلان في الاستقبال معه، ولو ذكر السين لاختلّ النسق القرآني ولذهب جمال اللغة، والقرآن يراعي النسق والجمال في كلّ تعبير.

وأختم هذا المبحث بقوله تعالى في سورة النمل:﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.[5]، قال الزمخشري: ((فان قلت: كيف جاء بسين التسويف ؟ قلت: عدة لأهله أنّه يأتيهم به وان أبطأ، وكانت المسافة بعيدة، فان قلت: لم جاء بأو دون الواو ؟ قلت: بنى الرجاء على أنّه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحداً منهما، إمّا هداية الطريق وإمّا اقتباس النار)).[6]

1-الكهف/.22
2- الكشّاف،الزمخشري:2/.713
3- النمل/.7
4-الكشّاف،الزمخشري:3/.349

الخاتمة:

بعد أن انتهت رحلتنا مع ((**دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم**))، يمكن إجمال أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث بما يأتي:

- بيّنت الرسالة أهميّة الصوت اللغوي ودلالته في التعبير القرآني، وما يؤدّيه الصوت اللغوي من دلالة، من خلال القراءات القرآنيّة التي قرئت باختلاف صوت لغوي منها، وكذلك حذف الصوت في موضع وإثباته في موضع آخر، أو تشديد الصوت، وهذا ما تناوله الباحث في الفصل الأوّل من دراسته.
- بيّنت الرسالة أهميّة الصيغة الصرفيّة (الخاصّة بالمضارع)، وما تلعبه من دور كبير في الدلالة القرآنيّة، إذ وقف الباحث على عدد من الآيات القرآنيّة التي أدّت فيها الصيغة الصرفيّة الدلالة الدقيقة التي يرمي إليها القرآن الكريم، وبيّن سرّ استعمال تلك الصيغ الصرفيّة.
- اتّضح من خلال البحث دور الموقع الإعرابي في التأثير الدلالي، وكيف أنّ القرآن يتّخذ الموقع المناسب للدلالة التي يرمي إليها، وما يؤدّيه الموقع من معنى، إذ وقف الباحث على الأوجه النحويّة الواردة في القرآن الكريم لصيغة المضارع، وكذلك دلالة القراءات القرآنيّة التي قرئت بالرفع والنصب والجزم.
- حاول البحث تبيين سرّ إيثار القرآن بعض الصيغ الصرفيّة وسرّ العدول القرآني عن تلك الصيغ وما يقتضيه ذلك من تغيّر دلالي في السياق القرآني، وذلك واضح في المبحث الأوّل من الفصل الرابع.
- وقفت الرسالة على بعض أسرار التعبير القرآني، وما يضفيه ذلك التعبير من دلالة في الآيات القرآنيّة، وكيف أنّ القرآن يراعي التعبير الفنّي الدقيق في جميع مستويات اللغة.
- بيّنت الرسالة أهميّة القراءات القرآنيّة ودورها في إثراء النص القرآني بدلالات مختلفة من شأنها إضفاء التوسّع الدلالي في اللغة.
- كشفت الرسالة في بعض مواضعها جمال اللغة العربيّة عموما، ولغة القرآن خصوصا بما ورد من التعابير القرآنيّة التي توحي بذلك الجمال.

وأخيرا أقول:

الحمد لله الذي منّ عليّ بالعلم النافع المبارك بأن جعلني من طلبة هذه اللغة الكريمة، سائلا إيّاه قبول هذا الجهد البسيط كفّارةً للذنوب وستراً للعيوب، آملاً أن ينال رضاه، وأن يكون شمعة مضيئة في طريق الباحثين في علوم اللغة العربيّة، وأن ينفع به دارسيها، والحمد لله أوّلا وآخرا والصلاة والسلام على نبيّه الكريم خير من نطق بالضاد، وعلى أهل بيته الكرام البررة الذين كان كلامهم دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق وصحبته المؤمنين الذين حملوا القرآن في صدورهم ووعوه في عقولهم.

المصادر والمراجع:

أوّلا: الكتب المطبوعة:

- **القرآن الكريم.**

1_ أبو عمرو بن العلاء، جهوده في القراءة والنحو، زهير غازي زاهد، مطبعة جامعة البصرة ،1987م، مركز دراسات الخليج، قسم الدراسات الأدبيّة واللغويّة(97).

2_ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، للشيخ أحمد ابن محمد الدمياطي، تصحيح، علي محمد الضباع، طبعة المشهد الحسيني.

3- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي(ت911ه)، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب1974م.

4_ أثر الدلالة النحويّة واللغويّة في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعيّة،عبد القادر عبد الرحمن السعدي، مطبعة الخلود،الطبعة الأولى (1406ه -1986م)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة، إحياء التراث الإسلامي.

5_ الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني (ت444ه)، تحقيق، عبد المهيمن الطحّان، مكتبة المنارة، مكّة المكرّمة، الطبعة الأولى(1408ه).

6_ أحكام القرآن، الجصّاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي(ت370ه)، تحقيق، محمد صادق قحماوي، مطبعة دار الكتب العلميّة، الطبعة الثانية (1415ه)، بيروت.

7_ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (774ه)، تحقيق، أحمد يوسف الدقاق، دار الفكر- بيروت، الطبعة الأولى (1401ه).

8_ أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس إسماعيل الآوسي، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر – بغداد،1989م، جامعة بغداد، بيت الحكمة.

9_ أسرار التكرار في القرآن الكريم، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دراسة وتحقيق، عبد القادر أحمد عطا، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع - تونس، الطبعة الأولى.

10_ إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق، إحسان قاسم الصالحي، مطبعة الخلود، الطبعة الأولى(1409ه -1989م)، دار الأندلس للطباعة والنشر.

11_ الأصوات اللغويّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة – القاهرة، الطبعة الرابعة،1971.

12_ الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظريّة تطبيقيّة، عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصريّة – بيروت، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،(1422هـ - 2001م).
13_ إعجاز القرآن، الباقلاّني(ت404هـ)، أبي بكر محمد بن الطيّب، تحقيق السيّد، أحمد صقر، دار المعارف – مصر،1964م، ذخائر العرب(12).
14_ إعراب القرآن، لأبي جعفر النحّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل(ت338هـ)، تحقيق، زهير غازي زاهد، مطبعة العاني – بغداد.
15_ أمالي المرتضى(غرر الفوائد ودرر القلائد)، للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي(436هـ)، تحقيق، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت
16_ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري(ت577هـ)، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر، الطبعة الثالثة،1955هـ.
17_ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي(ت685هـ)، تحقيق، عبد القادر عرفات العشا حسّونه، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية،(1416هـ - 1996م).
18- الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)، جلال الدين أبو عبد الله محمد قاضي القضاة سعد الدين أبي عبد الرحمن القزويني (د- ت).
19_ البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي(ت745هـ)، تحقيق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، الطبعة الأولى،(2001م - 1422هـ).
20_ بحوث في تأريخ القرآن، أبو الفضل مير محمدي زرندي، مطبعة مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى،1420هـ.
21_ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(794هـ)، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة الأولى،1376هـ.
22_ التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري(ت616هـ)، تحقيق، محمد علي بجاوي، دار إحياء الكتب العربية.
23_ التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر أيّوب الزرعي(751هـ)، دار الفكر.
24_ التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري(815هـ)، تحقيق، فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة، الطبعة الأولى،1992م.

25_ التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(460ه)، تحقيق، أحمد قصير العاملي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى،1409ه.
26_ تحقيقات نحويّة، د. فاضل صالح السامرّائي، دار الفكر للطباعة، الطبعة، الأولى(1421ه -2001م).
27_ التخريجات النحويّة والصرفية لقراءة الأعمش، سمير أحمد عبد الجواد، مطبعة الحسين الإسلاميّة – مصر، الطبعة الأولى(1411ه - 1991م).
28_ التشريع اللغوي عند الفرّاء، د. رحيم جبر الحسناوي، طبع مكتب بحار الأنوار للطباعة الليزرية، العراق،الحلة، الطبعة الأولى،2003م.
29_ التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرّائي، مطابع التعليم العالي، جامعة الموصل، 1989م.
30_ تفسير البصائر،آية الله أبو محمد يعسوب الدين رستكار الجويباري، مطبعة فروردين، ايران – قم، الطبعة الأولى،1413ه.
31_ تفسير الصافي، محسن الفيض الكاشاني(ت1091ه)، تحقيق، الشيخ، حسين الأعلمي، مطبعة مؤسّسة الهادي – قم المقدسة، الطبعة الثانية،1416ه.
32_ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي(774ه)، تحقيق، أحمد يوسف الدقاق، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى،1401ه.
33_ تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي التابعي(104ه)، تحقيق، عبد الرحمن طاهر محمد السورتي، دار المنشورات العلميّة – بيروت.
34_ التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير إبراهيم وحيد العزّاوي، دار الطباعة، عمان – الأردن، الطبعة الأولى(1421ه - 2000م).
35_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري(310ه)، تحقيق مصطفى مسلم محمد، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى،1405ه.
36_ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت671ه) تحقيق، سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، (1420ه-2000م)
37_ جامع الدروس العربيّة، مصطفى الغلاييني(1303ه)، ضبطه وخرّج آياته وشواهده الشعريّة، عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة – بيروت، الطبعة الرابعة(1424ه - 2003م)، منشورات محمد علي بيضون.
38_ جوامع الجامع، أبو الفضل بن الحسن الطبرسي(ت548 ه)، تحقيق مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى،1418ه.

39_ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي(791ه)، تحقيق، عبد القادر عرفات العشا حسّونه، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الثانية،(1416ه - 1996م).
40_ حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، محمد بن علي الصبّان(1206ه)، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
41_ الحجّة في علل القراءات السبع، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي(377ه)، تحقيق، علي النجدي ناصف، وعبد الفتّاح إسماعيل شلبي، مطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة، الطبعة الثانية(1421ه- 2000م).
42_ الحجّة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه(370ه)، تحقيق، عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة الرابعة،1401ه.
43_ حجّة القراءات، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة(ت505ه)، تحقيق، سعيد الأفغاني، مؤسّسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية(1402ه - 1982م).
44- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي(590ه)، تحقيق، سعيد الأفغاني، دار الكتاب النفيس – بيروت، الطبعة الأولى،1407ه.
45_ حروف المعاني، صنعة أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجّاجي(ت340ه)، تحقيق، علي توفيق الحمد، مطبعة، مؤسّسة الرسالة، أربد – الأردن، الطبعة، الأولى(1404ه - 1984م).
46_ حقائق التأويل في متشابه التنزيل، السيّد الشريف الرضي(406ه)، شرحه محمد الرضا آل كاشف الغطاء، مطبعة دار المهاجر، بيروت.
47_ الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني(392ه)، تحقيق، محمد علي النجّار، عالم الكتب – بيروت.
48_ الخطاب النقدي عند المعتزلة،قراءة في معضلة القياس النقدي، إبراهيم الوائلي، مكتبة كعيبة، صنعاء – الجمهوريّة اليمنيّة.
49_ خطى متعثّرة على طريق تجديد النحو العربي(الأخفش – الكوفيين)، عفيف دمشقيّة، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى،1980م.
50_ دراسات في الأدوات النحويّة، مصطفى النحّاس، مطابع دار القبس، الكويت، الطبعة الأولى،(1399ه - 1979م).
51_ الدرّ المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي(911ه)، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى1993م.

52_ دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء، بتول قاسم نصر، مطابع دار الشؤون الثقافيّة العامة، الطبعة الأولى، بغداد،1999م،(سلسلة رسائل جامعيّة).
53_ دلالة الجر والإضافة في سورة المائدة، رحيم جبر أحمد الحسناوي،طبع في الحلّة(2002م)، مكتب بحار الأنوار للطباعة الليزريّة.
54_ ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكّري، تحقيق، محمد حسين آل ياسين، دار الكتاب العربي الجديد، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى،1974م.
55_ ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق، محمد حسين، المطبعة النموذجيّة، مكتبة الآداب بالجماميز.

56_ ديوان أمريء القيس، ضبطه وصحّحه الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلميّة،بيروت، مطابع يوسف بيضون، الطبعة الأولى(1403هـ- 1983م).
57_ ديوان طرفة بن العبد، دار صادر للطباعة والنشر بيوت، (1380هـ- 1961م)، (د-ت).
58_ ديوان الهذليين، القسم الأوّل، شعر أبي ذؤيب الهذلي وساعدة بن جؤية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى(1364هـ- 1945م).
59_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي (ت 1270هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت.
60_ زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي(ت597هـ)، تحقيق، محمد بن عبد الرحمن عبد الله، مطبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى،1407هـ.
61_ السبعة في القراءات،ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى بن العبّاس التميمي البغدادي (324هـ)، تحقيق، شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية.
62_ سرّ صناعة الإعراب، ابن جني(392هـ)، تحقيق، حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى،1985م.
63_ شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، لأبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك(ت672هـ)، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر، الطبعة الرابعة عشر.
64_ شرح ديوان عمرو ابن أبي ربيعة المخزومي، إعداد وتقديم وتعليق، علي ملكي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، شركة علاء الدين للطباعة والتجليد.
65_ شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستراباذي(ت688هـ)، تصحيح وتعليق، يوسف حسن عمر، مؤسّسة الصادق – طهران.

66_ شرح قطر الندى وبلّ الصدى،لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري(ت761ه)، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة نكارش، الطبعة الأولى1420ه، دار ذوي القربى للطباعة والنشر، قم.
67_ شرح المفصّل، لموفّق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي(ت643ه)، عالم الكتب، بيروت،(د – ت).
68_شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق فخر الدين قباوة، دار القلم العربي بحلب، الطبعة الأولى(1390ه- 1970م)، الطبعة الثانية(1393ه- 1973م).
69_ شعر نصيب بن رباح، جمع وتقديم داود سلّوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968م.
70_ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري(ت256ه)، مطبعة دار الفكر، بيروت، طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول(1401ه).
71_ الصوت اللغوي في القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرّخ العربي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى(1420ه - 2000م)، موسوعة الدراسات القرآنيّة(3).
72_ الصورة الفنية في المثل القرآني(دراسة نقديّة وبلاغيّة)، محمد حسين علي الصغير،شركة المطابع النموذجيّة، دار الرشيد للنشر،1981م، سلسلة دراسات(288).
73_ علل النحو،ابن الورّاق أبو الحسن محمد بن عبد الله(ت381ه)، تحقيق ودراسة، محمود جاسم درويش، جمهوريّة العراق، بغداد،2002م، الجامعة المستنصريّة.
74_ غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت276ه)، تحقيق، عبد الله الجبوري، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى،1408ه.
75_ فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(1250ه)، تحقيق، علي محمد عمر، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى،1396م.
76_ فقه القرآن، قطب الدين الراوندي(ت573ه)، تحقيق، السيّد أحمد الحسيني،باهتمام السيّد محمود المرعشي، مطبعة الولاية، قم، الطبعة الثانية،1405ه.
77_ فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي(243ه)، تحقيق، حسين القوتلي، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية،1398ه.
78_ القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعيّة، محمد الحبش، المطبعة العلميّة، دمشق، الطبعة الأولى،(1419ه - 1999م).
79_ القواعد والإشارات في أصول القراءات، أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي(791ه)، تحقيق، عبد الكريم محمد الحسن البكار،دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى،1406ه.

80_ الكافي، الشيخ الكليني(ت329ه)، تحقيق، علي أكبر غفاري، مطبعة حيدري، الطبعة الثالثة(1367ه)، دار الكتب الإسلاميّة، آخوندي.
81_ كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت180ه)، تحقيق وشرح، عبد السلاّم محمد هارون، مطابع الهيئة المصريّة العامة للكتاب،عالم الكتب – بيروت.
82_ الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمرو الزمخشري(ت528ه)، من منشورات البلاغة.
83_ كمال الدين وإتمام النعمه، الشيخ الصدوق(ت381ه)صحّحه وعلّق عليه، علي أكبر غفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين، قم(د-ت).
84_ كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي القمّي(ت1125ه)، تحقيق، الحاج مجتبى العراقي، مطبعة مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى،1407ه.
85_ لسان العرب، ابن منظور الأفريقي المصري(711ه)، تحقيق، عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى،(1413ه - 1992م).
86_ مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت548 ه)، تحقيق، هاشم الرسولي المحلاّتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،(1379ه - 1339).
87_ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، عنى بنشره، ج – برجشتراسر، دار الهجرة.
88_ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي(671ه)، تحقيق، أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية،1372ه.
89_ المذكّر والمؤنث، لأبي البركات الأنباري(ت557ه)، تحقيق، طارق الجنابي، مطبعة العاني، الطبعة الأولى، بغداد، .1978
90_ مشكل إعراب القرآن، مكّي بن أبي طالب القيسي(437ه)، تحقيق، حاتم صالح الضامن، مؤسّسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية،1405ه.
91_ المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد القادر مرعي العلي خليل، طبع جامعة مؤته، الطبعة الأولى(1993)، الأردن.
92_ معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي(516ه)، تحقيق، خالد العك ومروان السوّار، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية،(1407ه - 1987م).
93_ معاني القراءات، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت370ه)، حقّقه وعلّق عليه الشيخ، أحمد فريد المزيدي، قدّم له وقرّظه، فتحي عبد الرحمن حجازي، دار الكتب العلميّة – بيروت، الطبعة الأولى،(1420ه - 1999م)، منشورات محمد علي بيضون.

94_ معاني القرآن، أبو جعفر النحّاس(338ه)، تحقيق، محمد علي الصابوني، جامعة أمّ القرى – المملكة السعوديّة العربيّة، الطبعة الأولى،1409ه.
95_ معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، المعروف بالأخفش الأوسط(215ه)، قدّم له إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى(1423ه - 2002م)، منشورات محمد علي بيضون.
96_ معاني القرآن، أبو زكريّا محمد بن زياد الفرّاء(ت207ه)، عالم الكتب، الطبعة الثالثة،(1401ه - 1983م).
97_ معاني النحو، د. فاضل صالح السامرّائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، مطابع التعليم العالي في الموصل،1986م.
98_ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، بحاشية المصحف الشريف، مطبعة شريعت، الطبعة الأولى،1421ه، منشورات ذوي القربى.
99_ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري(761ه)، تحقيق، مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة، سعيد الأفغاني، مطبعة أمير، الطبعة الأولى(1378ه).
100_ مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّة، نشر مكتب الإعلام الإسلامي،1213ه.
101_ مفتاح أحسن الخزائن الإلهية، السيد مصطفى الخميني، مطبعة مؤسسة العروج، الطبعة الأولى.
102_ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني(ت502ه)، الطبعة الأولى، (1404ه)،
103_ المفصّل في علم العربيّة،لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري(ت538ه)، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثانية.
104_ المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني(ت471ه)، تحقيق، كاظم بحر المرجان، المطبعة الوطنيّة، عمّان – الأردن،.1982
105_ المقتضب، صنعة أبي العبّاس محمد بن يزيد المبرّد(ت285ه)، تحقيق، محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام التجارية، قليوب – مصر،(1415ه - 1994م).
106_ المقرّب، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور(ت669ه)، تحقيق، أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
107_ الممتع في التصريف، ابن عصفور الأشبيلي(ت669ه)، تحقيق، فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة – بيروت،الطبعة الثالثة.

108_ المنتخب من مسند عبد الحميد، أبو محمد عبد بن حميد(ت249ه)، تحقيق، صبحي البدري السامرّائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، مطبعة مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى(1408ه - 1988م).
109_ المنتقى من علوم القرآن، فرج توفيق الوليد،(د-ت).
110_ منّة المنّان في الدفاع عن القرآن، السيّد محمد محمد صادق الصدر، مطبعة أنصار الله للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،1424ه.
111_ موصل الطلاّب إلى قواعد الإعراب، خالد بن عبد الله الأزهري(ت)، تحقيق، عبد الكريم المجاهد، مؤسّسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى،1996م.
112_ نحو القرّاء الكوفيين، خديجة أحمد مفتي، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى،(1406ه - 1985م)، رسالة ماجستير، إشراف،د/عبد الفتّاح إسماعيل شلبي.
113_ النحويّون والقرآن، خليل بنيّان الحسّون، مكتبة الرسالة، عمان – الأردن، الطبعة الأولى،(1432ه - 2002م).
114_ النشر في القراءات العشر، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري(ت833ه)، دار الفكر للطباعة، أشرف على تصحيحه، محمد علي الضباع.
115_ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن(د- ت).
116_ نهج البلاغة، للإمام علي(عليه السلام)، تحقيق، الشيخ محمد عبده، دار المعرفة – بيروت.
117_ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير(ت606ه)، تحقيق، طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، مطبعة اسماعليّان – قم، الطبعة الرابعة،1364ه.
118_ همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي(ت911ه)، عنى بتصحيحه، السيّد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان(د-ت).
119_ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي(468ه)، تحقيق، صفوان عدنان داودي، دار القلم، الدار الشاميّة – دمشق،بيروت، الطبعة الأولى، 1415ه.

البحوث والرسائل الجامعية:

1- التوجيه النحوي للقراءات القرآنيّة في تبيان العكبري(ت616هـ)، قاسم محمد أسود عبطان الحميري، رسالة ماجستير، كليّة التربية، جامعة بابل، قسم اللغة العربية، إشراف الدكتور، عبد الرسول سلمان إبراهيم الزيدي(1423هـ -2002م).

2- دلالة الفعل في القرآن الكريم، هاتف بريهي شياع الثويني، رسالة دكتوراه، كليّة الآداب، جامعة الكوفة، قسم اللغة العربية، اشراف علي كاظم أسد.

3_ دور الوقف في خدمة النص القرآني، إسماعيل أحمد الطحّان، كليّة الشريعة، جامعة قطر، بحث منشور في كتاب الموسوعة العلميّة والأدبيّة(لفظ الدراري من مقتطفات الأنصاري)، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

4- قضيّة الإعراب في النحو العربي، عبد الحسين المبارك، بحث منشور في كليّة الآداب، جامعة البصرة.

5- المنهج الصوتي للنحو العربي في معاني القرآن للفرّاء، محمد كاظم البكّاء، كليّة الفقه، جامعة الكوفة، بحث منشور في مجلّة المورد، العدد الرابع، عدد خاص (الدراسات القرآنيّة).